20 me année No 1013 | Le Caire 1 — 12 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — أول ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فى ظلال مولد الرسول

تفسير آيـــة

للأستاذ سيد قطب

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس . ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا ، فنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد »

« تلك الرسل » .. لا هؤلاء الرسل .. إنهم جماعة خاصة ، ذات طبيعة خاصة . ثم يجئ التفضيل والتفاضل فى دائرة هـذه الجماعة ، أو هذه الطبيعة

فما الرسالة ؟ ما طبيعتها ؟ كيف تتم ؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا وبماذا ؟

أسئلة طالما أشفقت أن أبحث لها عن جواب ! إن حسى ليفعم بمشاعر ومعانى لا أجد لها كفاء من العبارات . ولـكن لابد من تقريب المشاعر والمعانى بالعبارات !

إن لهذا الوجود سننا أصيلة ، يشير إليها هذا القرآن فيقول : « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » هذه السنن هى القوانين الـكونية التى أودعها الله الوجود ، ليسير على وفقها ، ويتحرك بموجبها ، ويعمل بمقتضاها

والإنسان يكشف عن أطراف من هذه القوانين ، كلما ارتقى فى سلم المعرفة ، يكشف عنها — أو يكشف له عنها — بمقدار يناسب علمه المحدود ، المستمد من الملاحظة والتجربة ، وهما وسيلتان جزئيتان فى طبيعتهما ؛ ولـكنهما تقودان أحيانا إلى أطراف من القوانين الـكلية ، فى آماد متطاولة من الزمان . ثم يظل هـذا الـكشف جزئيا لأن سر التناسق بين تلك القوانين كلها ، الناموس الأزلى الخالد الذى بين القوانين جميعا ، ذلك السر يظل خافيا لا تهتدى إليه الملاحظة الجزئية ، ولا التجربة الجزئية مهما طالت الآماد

هنا يجئ دور الرسالة . دور الطبيعة الخاصة التى آتاها الله الاستعداد اللدنى لتتجاوب فى أعماقها — بطريقة ما نزال نجهل ماهيتها وإن كنا ندرك آثارها — مع ذلك الناموس الخالد الذى يسير الـكون كله على هداه .. هذه الطبيعة الخاصة هى التى تتلقى الوحى ، فتطيق تلقيه ، لأنها مهيأة لاستقباله . إنها تتلقى الإشارة الإلهية التى يتلقاها هذا الوجود ، لأنهـا متصلة اتصالا مباشرا بناموس الوجود .. كيف تتلقى هذه الإشارة ، وبأى جهـاز تستقبلها ؟ نحن فى حاجة — لـكى نجيب — أن تكون لنا نحن هذه الطبيعة التى يهبها الله من يشاء من عباده . و « الله أعلم حيث يجعل رسالته »

* * *

كل الرسل أدركوا حقيقة « التوحيد » . وكلهم بعثوا بها . ذلك أن إيقاع الناموس الواحد فى حسهم كله هداهم إلى مصدره الواحد الذى لا يتعدد — وإلا لتعدد الناموس وتعدد إيقاعه فى حسهم ، وهم المتصلون اتصالا مباشرا بالناموس الـكونى فى أعماقهم — وكان هذا الإدراك فى فجر البشرية ، قبل أن تنمو

المرنة الخارجية ، وقبل أن تتكشف بعض القوانين الكونية .. وكلهم دعا إلى عبادة الله الواحد ، لأن هذا المنطق الفطرى ، الناشئ من إيقاع الناموس الواحد ، فى الفترة الواصلة ، المتصلة بناموس الكون الواحد

ويوما بعد يوم تكشفت أطراف من قانون الوحدة الأزلى الخالد فى نظام الوجود .. وحدة التكوين ، ووحدة الحركة ، وأخيرا — فى هذه الأيام — وحدة « الذبذبات » لكل أنواع الذرات التى يتألف منها الكون المعروف .. لقد تكشف أن الذرة — وهى طاقة — هى أساس تكوين جميع القوى والأجسام ، ثم تكشف أن عدد « الذبذبات » الكهربائية واحد فى جميع الذرات .. إنه طرف من قانون الوحدة يتكشف بمقدار ما تطيق الملاحظة والتجربة أن تبلغ . . أما الطبائع الخاصة الموهوبة فقد أدركت القانون كله فى لمحة ، لأنها تتلقى إيقاعه وتطيق وحدها تلقيه

إنهم لم يجمعوا الأمثلة والشواهد على تلك الوحدة عن طريق التجارب العلمية ؛ ولكنهم وهبوا جهاز استقبال كامل مباشر ، فاستقبلوا إيقاع الناموس الواحد استقبالا داخليا مباشرا ، فأدركوا إدراكا مباشرا أن الإيقاع الواحد لابد منبعث عن ناموس واحد ، عن مصدر واحد .. واليوم تفئ وحدة عدد الذبذبات الصادرة من جميع الذرات التى تلتها أجهزة العلم الحديثة وسجلتها ... تنبئ عن أن ذلك الجهاز اللدنى فى تلك الطبائع الخاصة الموهوبة ، كان أسبق ، وكان أدق ، وكان أشمل وأكمل ؛ لأنه أدرك ماوراء وحدة الإيقاع ، من وحدة المصدر ، ووحدة القدرة ، ووحدة المشيئة

ترى قد بلغت شيئا فى تصور تلك المشاعر والمعانى ، التى تفعم حسى تجاه الرسالة ؟ أرجو . وإلا فليكتف القراء مثلى بتلك المشاعر والمعانى !

***

و « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » .. والتفضيل هنا قد يتعلق بالمحيط المقدر للرسول . كأن يكون رسول أمة ، أو جيل ، أو أجيال ، أو جميع الأجيال . كما يتعلق بالمزات التى يوهبها لشخصه أو لأمته . أو بطبيعة الرسالة ذاتها ومدى شمولها لجوانب الحياة الكونية والإنسانية

وقد ذكر النص هنا مثالين فى موسى وعيسى ؛ وأشار إشارة عامة إلى سواهما : « منهم من كلم الله — ورفع بعضهم درجات — وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس »

ولم يذكر محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى صدر الأمثلة ، لأن الخطاب موجه إليه ، وهذا إخبار له عن غيره من الرسل فقد سبق هذه الآية قوله تعالى :

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين »

وحين ننظر إلى مقامات الرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — من ناحية الاستعداد لإدراك الوحدة الكبرى ، ومن ناحية شمول الرسالة لكل جوانبها ، ومن ناحية محيطها وامتدادها نجد محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى القمة العليا . فالإسلام هو أكمل تصور لتلك الوحدة : وحدة الخالق الذى ليس كمثله أحد ، ووحدة الإرادة التى يصدر عنها الوجود كله بكلمة : « كن » . ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة ، ووحدة الناموس الذى يحكم هذا الوجود ، ووحدة الحياة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق ، ووحدة البشرية من آدم إلى آخر أبنائه فى الأرض ، ووحدة الدين الصادر من الإله الواحد إلى البشرية الواحدة ، ووحدة الرسل المبلغين لهذه الدعوة ، ووحدة المؤمنين الذين لبوا دعوة الدعاة ، ووحدة النفس البشرية جسما وعقلا وروحا ، غريزة وميلا وشوقا ، ووحدة العمل والعبادة ما دام كلاهما متجها إلى الله ، ووحدة الدنيا والآخرة دارى العمل والجزاء

ومحمد — صلى الله عليه وسلم — هو الذى أطاقت روحه التجاوب المطلق مع الوحدة الكبرى ، كما أطاق عقله تصور هذه الوحدة وتمثلها

كذلك هو الرسول الذى أرسل إلى البشر كافة ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والذى اعتمدت رسالته على الإدراك الإنسانى الواعى دون ضغط حتى من معجزة مادية قاهرة ، ليعلن بذلك عهد الرشد الإنسانى

ومن ثم كان هو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات ، وهذا ما يعنينى أن أبرزه هنا ، تفسيرا لانقطاع الوحى بعده . فلقد ارتسمت للبشرية فى رسالته تلك الوحدة الكبرى ، وأعلن

البقية على صفحة ١٣٥٧

من أحاديث الإذاعة

أيها الانسان .. اعرف نفسك

للأستاذ علي الطنطاوي

إنكم تسمعون كل يوم أحاديث في الجد وفي الهزل ، وفي الخير وفي الشر . أحاديث تدعو إلى الوطنية ، وأحاديث تسمو بالخلق ، وأحاديث فيها متعة وفيها تسلية ؛ ولكن حديثي الليلة أهم من هذه الأحاديث كلها ، لا لأني أنا كاتبه ، أعوذ بالله من رذيلة الغرور ، بل لأنه أمس الموضوعات بكم ، وأقربها إليكم ، ولأنه دعوة لكم لتعرفوا أنفسكم

لا تضحكوا يا سادة ولا تظنوا أني أهزل ، ولا تقولوا : ومن منا لا يعرف نفسه ؟ فإنه كان مكتوباً على باب معبد أثينة كلمة سقراط : « أيها الإنسان اعرف نفسك » ومن يوم سقراط إلى هذه الأيام ، لم يوجد في الناس (إلا الأقل الأقل منهم) من عرف نفسه !

ومتى تعرف نفسك يا أخي ، وأنت من حين تصبح إلى حين تنام مشغول عنها بحديث أو عمل أو لهو أو كتاب ؟

ومتى تعرف نفسك وأنت لا تحاول أن تخلو بها ساعة كل يوم تفكر فيها لا يشغلك عنها تجارة ولا علم ولا متاع ؟

ومتى . . وأنت أبداً تفكر في الناس كلهم إلا نفسك . . وتحدثهم جميعاً إلا إياها ؟

***

تقول « أنا » فهل خطر على بالك مرة واحدة أن تسأل : « ما أنا » ؟ هل جسمي هو (أنا) ؟ هل أنا هذه الجوارح والأعضاء ؟

إن الجسم قد ينقص بعاهة أو مرض ، فتبتر ساق ، أو تقطع يد ، ولكن (أنا) لا يصيبني بذلك نقصان !

فما (أنا) ؟

ولقد كنت يوماً طفلاً ثم صرت شاباً ، وكنت شاباً فصرت كهلاً ، فهل خطر على بالك أن تسأل : هل هذا الشاب هو ذلك الطفل ؟ وكيف ؟ وما جسمي بجسمه ، ولا عقلي بعقله ، ولا يدي هذه يده الصغيرة . فأين ذهبت تلك اليد . ومن أين جاءت هذه ؟

وإذا كانا شخصين مختلفين فأيهما أنا ؟ هل أنا ذلك الطفل الذي مات ولم يبق في من جنده ولا فكره بقية ؟ أم أنا الكهل الذي يلقي هذا الحديث ؟ أم أنا الشيخ الذي سيأتي على أثره بجسمه الواني وذهنه الكليل ؟ ما أنا ؟

وتقول : « حدثت نفسي ، ونفسي حدثتني » فهل فكرت مرة ، ما أنت ؟ وما نفسك ؟ وما الحد بينهما . وكيف تحدثك أو تحدثها ؟

وتسمع الصباح جرس الساعة يدعوك إلى القيام — فقد حان الوعد ، فتحس من داخلك داعياً يدعوك إلى النهوض ، فإذا ذهبت تنهض ناداك منك مناد أن تريث قليلاً واستمتع بدفء الفراش ، ولذة النام — ويتجاذبك الداعيان : داعي القيام وداعي النام . فهل فكرت ما هذا ؟ وما ذاك ؟ وما أنت بينهما ؟ وما الذي يزين لك المعصية ومن يصور لك لذتها ، ويحرك إليها ؟ وما الذي ينفرك منها ، ويبعدك عنها ؟ يقولون : إنه النفس وإنه العقل . فهل فكرت يوماً ما النفس الأمارة بالسوء ، وما العقل الرادع عنه ؟ وما أنت ؟

وتثور بك الشهوة ، حتى ترى الدنيا كلها مخدع الحبيب ، والحياة كلها متعة الجسد ، وتتمنى أماني لو أعطيها شيطان لارتجف من فظاعتها الشيطان ، ثم تهدأ شهوتك فلا ترى أقبح من هذه الأماني ، ولا أسخف من ذلك الوصال !

ويعصف بنفسك الغضب حتى ترى اللذة في الأذى ، والمتعة بالانتقام . وتغدو كأن سبعاً حل فيك ، فصارت إنسانيتك وحشية .. ثم يسكت عنك الغضب ، فتجد الألم فيما كنت تراه لذة ، والندم على ما كنت تتمناه

وتقرأ كتاباً في السيرة ، أو تتلو قصة ، أو تنشد قصيدة ، فتحس كأن قد سكن قلبك ملك فطرت بغير جناح إلى عالم كله خير وجمال ، ثم تدع الكتاب ، فلا تجد في نفسك ولا في الوجود أثارة من ذلك العالم

فهل تساءلت مرة ما أنا من هؤلاء ؟ هل أنا ذلك الإنسان الشهوان الذي يستبيح في لذته كل محرم ويأتي كل قبيح ؟ أم ذلك الإنسان البطاش الذي يشرب دم أخيه الإنسان ، ويتغذى بعذابه ويسعد بشقائه ؟ أم ذلك الإنسان السامي الذي يحلق في سماء الطهر بلا جناح ؟ أسبع أنا أم شيطان أم ملك ؟

***

أتحسب أنك واحد وأنك معروف . وأنت جماعة في واحد وأنت عالم مجهول . كشفت مجاهل البلاد ، وعرفت أطباق الجو ، ولا تزال أنت مخفياً ، لم يظهر على أسرارك أحد . فهل حاولت مرة أن تدخل إلى نفسك فتكشف مجاهلها ؟

نفسك عالم عجيب ، يتبدل كل لحظة ويتغير ، ولا يستقر على حال : تحب المرء فتراه ملكاً ، ثم تكرهه فتبصره شيطاناً ، وما ملكاً كان قط ولا شيطاناً ، وما تبدل ، ولكن تبدلت حالة نفسك . وتكون في مسرة فترى الدنيا ضاحكة ، حتى أنك لو كنت مصوراً للأت صورتها على لوحتك بزاهي الألوان ، ثم تراها وأنت في كدر ، باكية قد غرقت في سواد الحداد . وما ضحكت الدنيا قط ولا بكت ، ولكن كنت أنت الضاحك الباكي

فما هذا التحول فيك ؟ وأي أحكامك على الدنيا أصدق ؛ وأي نظريك أصح ؟ وإذا أصابك إمساك فنالك منه صداع ، ساءت عندك الحياة ، وامحى جمال الرياض ، وطمس بهاء الشمس ، واسود بياض القمر ، وملأت الدنيا فلسفة شؤم إن كنت فيلسوفاً ، وحشوت الأسماع شعر بؤس إن كنت شاعراً . فإذا زال ما بك بقدح من زيت الخروع ، ذهب التشاؤم في الفلسفة ، والبؤس في الشعر . فما فلسفتك يا أيها الإنسان وما شعرك إن كان مصدرها قدح من زيت الخروع ؟

وتكون وانياً ، واهي الجسم ، لا تستطيع حراكاً ، فإذا حاق بك خطر ، أو هبط عليك فرح . وثبت كأن قد نشطت من عقال ، وعدوت عدو النزال ، فأين كانت هذه القوة كامنة فيك ؟ هل خطر على بالك أن تبحث عن هذه القوة فتحسن استغلالها ؟ هل تساءلت مرة عندما تغضب أو تفرح فتعمل الأفاعيل — كيف استطعت أن تفعلها ؟

إن النفس يا أخي كالنهر الجاري ؛ لا تثبت قطرة منه في مكانها ، ولا تبقى لحظة على حالها ، تذهب ويجيء غيرها ، تدفعها التي هي وراءها ، وتدفع هي التي أمامها . في كل لحظة يموت فيك واحد ويولد واحد ، وأنت الكل ؛ أنت الذي مات وأنت الذي ولد ، فابتغ لنفسك الكمال أبداً ، واصعد بها إلى الأعالي ، واستولدها دائماً مولوداً أصلح وأحسن ، ولا تقل لشيء لا أستطيعه فإنك لا تزال كالغصن الطري ، لأن النفس لا تيبس أبداً ، ولا تجمد على حال ، ولو تباعدت النقلة ، وتباينت الأحوال .. إنك تتعود السهر حتى ما تتصور إمكان تعجيل النوم ، فما هي إلا أن تبكر النوم ليالي حتى تتعوده فتعجب كيف كنت تستطيع السهر ! وتدمن الخمرة حتى ما تظن أنك تصبر عنها ، فما هي إلا أن تدعها حتى تألف تركها ، وتعجب كيف كنت تشربها . وتحب المرأة حتى ما ترى لك حياة إلا بها ، فما هي إلا أن تسلوها حتى تعجب كيف كنت تحبها . فلا تقل لحالة أنت فيها ، لا أستطيع تركها ، فإنك في سفر دائم ، وكل حالة لك محطة على الطريق ، لا تنزل فيها حتى ترحل عنها

***

فيا أخي . اعرف نفسك ، واخل بها ، وغص على أسرارها . وتسأل أبداً : ما النفس ؟ وما العقل ؟ وما الحياة ؟ وما العمر ؟ وإلى أين المسير ؟

ولا تنس أن من عرف نفسه عرف ربه ، وعرف الحياة ، وعرف اللذة الحق التي لا تعدلها لذة . وأن أكبر عقاب عاقب به الله من نسوا الله أنه أنساهم أنفسهم !

علي الطنطاوي

٥ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

١ – الصراع العقائدى وعلاقته بفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط

ضرورة التعرف على جوهر السلوك السوفيتى

المنطق الرئيسى الذى تلجأ إليه الحكومتان الأمريكية والبريطانية ومعها بقية الحلف الأطلنطى لإقناع الدول والشعوب العربية بالتعاون معهما فى نظام للدفاع المشترك عن الشرق الأوسط يستند إلى خطر تعتقد دول الحلف الأطلنطى أنه كامن فى مطامع روسيا السوفيتية للتوسع فى الشرق الأوسط ورابض فى صميم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (والسياسية كذلك) التى تعيش عليها شعوب الشرق العربى وبعض الشعوب الإسلامية المجاورة

وفى اعتقاد كاتب هذه السطور أن من أهم الأمور التى يجب أن يشتغل بها صناع السياسة والمطمحون الاقتصاديون والاجتماعيون فى الشرق العربى هو محاولة التعرف على دقائق السلوك السياسى والفكرى للشيوعية العالمية ممثلة فى مركزية الاتحاد السوفيتى وفى الحركات الشيوعية المحلية فى مختلف البقاع – حركات تدين لموسكو بالولاء وتستوحى منها الإرشاد والتوجيه

فإن أبرز ما فى هذه الاتجاهات السياسية والفكرية فى حاضر الشرق إجمالا والعالم العربى على وجه الخصوص هى البلبلة السياسية والفكرية التى تعترى القادة والمواطنين حين يحاولوا مخلصين صادقين فى تحديد موقفهم السياسى ومبادئهم الاقتصادية والاجتماعية إزاء التنافس الحاد الذى يشهده الشرق العربى (بل العالم بأسره) بين المعسكرين المتطاحنين الشيوعى وحلف الأطلنطى

ولقد وجد الشرق العربى نفسه ملما بكثير من دقائق السلوك البريطانى والأمريكى والفرنسى وهؤلاء هم دعامة المعسكر الغربى وذلك بفضل هذه التجارب القاسية المرة التى تكشفت عن ألوان الثقافة الغربية التى تجد سبيلها إلى الثقافة العربية وعن الحاكم بالمحكوم والتاجر بالمشترى والقوى بالضعيف سواء فى استعمار بريطانيا السابق لأجزاء هامة من عالم العرب أم صهيونية أمريكا ومصالحها الاقتصادية والدبلوماسية أم فى استرقاق الفرنسيين لعرب المغرب الأحرار

ولكن يندر أن تمس فى تجارب العرب السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية احتكاكا مباشرا مع الروس توفر للمواطنين العرب وزعمائهم السياسيين فرصا نافعة تعرفوا فيها على دقائق السلوك الروسى على ما عرفوه من سلوك الأمريكان والأوربيين فى تجاربهم الطويلة معهم

وإن من غير الصواب أن نحلل الفكر والسلوك لروسيا السوفيتية على ضوء موجات الدعاية أو بما نلمسه من سلوك العناصر الشيوعية المحلية التى تدين بالولاء لموسكو ، فالفكر السوفيتى خصائص فريدة زرعت ونمت وشبت فى طبيعة المجتمع الروسى ، وإن ما يصدر إلى الخارج من هذه الخصائص السوفيتية عن طريق الحركات الشيوعية خارج الاتحاد السوفيتى لا يتعدى نماذج مصطنعة اختيرت لتلائم وضعا إقليميا معينا ، وهذه النماذج تختلف باختلاف الأوضاع الإقليمية وباختلاف الشعوب التى يجرى فيها النشاط الشيوعى . فالبضاعة التى تروجها الشيوعية المحلية فى الشرق العربى مثلا تختلف عن النماذج التى يروجها الشيوعيون فى إيطاليا أو فرنسا مثلا . وكل هذه النماذج ليس صورة صادقة لحقيقة الأهداف التى تطمح موسكو لتنفيذها فى المراحل النهائية

والمهم أن ندرك أن الوضع الجغرافى والمركزى الدولى للعالم العربى يفرض علينا يقظة حساسة لمراقبة دقائق السلوك السياسى والفكرى لكلا المعسكرين المتطاحنين السوفيتى والغربى . ولما كانت علاقتنا السياسية والثقافية مع المعسكر الغربى متواصلة مستمرة توفر لنا وسيلة طيبة للتعرف على تفكير هذا المعسكر ونواياه وأهدافه وسلوكه ، وحيث أن صلتنا الفكرية والسياسية بالاتحاد السوفيتى بعيدة متقطعة ؛ فإن المصلحة الجوهرية لكياننا

القومى تفرض علينا سبر غور هذا اللغز السوفييتى خصوصا وأن فى العالم العربى أوساطا واعية ذات مكانة ونفوذ تؤمن بأن كثيرا من مشاكلنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية مرتبطة « بالورقة الغامضة » التى يحملها الاتحاد السوفييتى إزاء الشرق الأوسط فى هذه المقامرة السياسية والعسكرية التى يلعبها المجتمع الدولى فى هذه الأيام

وبعد فإن كاتب هذه السطور لن يحاول فى هذا البحث أن يقارن بين أهداف الطرفين (الروس وحلفاء الغرب) وسلوكهما ، ولن يطمح فى أن يربط قضايا العالم العربى بهذا أو ذلك . وإنما هى محاولة للتعرف على بعض الحقائق الجوهرية للفكر والسلوك الروسى فى إطاره العام ، فلعل فى هذه المحاولة نفعا للمواطن العربى الذى يقف بين حجرى الرحى ومقدراته العامة والخاصة فى يديه يحاول أن يجد الخلاص من هذا المأزق المحرج الذى فرضه عليه صراع فكرى وسياسى واقتصادى بين كتلتين سياسيتين تتنافسان اليوم على السيادة الدولية

***

ليس المهم فى هذا النوع من البحث أن يحلل الكاتب المبادئ الفكرية (الأيديولوجيه) التى تستند إليها الدعوة الشيوعية السوفييتية بقدر ما يهمه أن يتعرف على الأساليب التى تتميز بها السياسة السوفييتية عند قيامها بتنفيذ هذه المبادئ فى روسيا نفسها وفى العالم الخارجى

فالاقتناع بالعقائد والنظم الفكرية (شيوعية كانت أم غير شيوعية) أصبح اليوم أمرا ثانويا إزاء سياسة توازن القوى التى تشوب سلوك المعسكرين الكبيرين الروسى والغربى . فقد أصبح كلا الطرفين أميل إلى توطيد نفوذه فى المناطق الحساسة (كمنطقة الشرق العربى) فى أساليب تبتعد فى كثير من الحالات عن جوهر المبادئ والمعتقدات الفكرية التى تستند إليها نظم الحكم فى كل من الاتحاد السوفييتى ودول حلف الأطلنطى. فالعالم اليوم فى حالة حرب « باردة » وحالات الحرب تستلزم خدعة فى السلوك ومناورة فى أساليب الكر والفر الدبلوماسى . وعلى ذلك فإن حاضر الوضع الدولى يتطلب اهتماما بدقائق هذا السلوك أكثر من اهتمامه بالمعالجات المنطقية لجوهر النظم الفكرية والسياسية التى تبشر بها الدول الكبرى التى لها القول الفصل فى مصير السلم والحرب

ولقد أشرنا فى فترة سابقة إلى أن الشعوب العربية قد اختبرت عن كثب كيف أن سياسة الدول الديمقراطية الغربية فى العالم العربى لا تتمشى فى كثير من الحالات مع المبادئ الديمقراطية التى يستند إليها الفكر الغربى وأنظمة الحكم القائمة فى أوربا وأمريكا. فمأساة فلسطين علم على ذلك وتراث الاستعمار الغربى فى دنيا العرب مثل حى من أمثلة هذا التناقض بين العقائد والسلوك

أفليس من الصواب إذن أن نسعى لمعرفة ألوان التناقض بين العقيدة الشيوعية السوفييتية وبين سلوكها السياسى مع العالم الخارجى ، ونحن فى منطقة حساسة يتوقف كيانها السياسى وبقاؤها على خارطة الأرض على ما يتمخض عنه صراع الدول الكبرى المتنافسة . ألم يصرح الجنرال أيزنهاور كبير القادة العسكريين فى دول الحلف الأطلنطى بأن الشرق الأوسط هو أهم ميدان عسكرى فى خارطة العالم العسكرية [1]

وبعد فإن التعرف على دقائق السلوك يتطلب معرفة بخصائص العقلية السوفييتية . ويجب أن نميز بين العقلية السوفييتية وبين العقلية الروسية ؛ فالأولى إطار فكرى يعيش على تراث ماركس ولينين — وستالين وهو تراث راسخ فى ثقافة رجال الحكم وصناع السياسة الذين يسيطرون على مقدرات روسيا اليوم . والثانية عقلية «شعبية» تراثها الثقافة الروسية التقليدية والمقومات التاريخية والأدبية والعاطفية وطبيعة المناخ والإقليم وسائر ألوان النشاط الإنسانى التى تتميز بها الشعوب من بعضها . ولاشك أن هناك تشابكا بين العقلية السوفييتية وبين العقلية الروسية بحكم أن رجال الحكم المسؤولين عن روسيا اليوم هم من صلب الشعب الروسى . وهذا التشابك بين العقليتين ينقطع فى كثير من الحالات والأحداث الخطيرة الهامة . ففى عقول البلاشفة السوفييتيين طبقات كثيفة من فلسفة ماركس ولينين وستالين والمدارس الفكرية المنبثقة عنها ترقد فوق تراثهم ومقوماتهم الخلقية الروسية التى ورثوها بحكم كونهم من إنتاج الشعب الروسى ، ولكن

(١) — فى خطاب له أمام مجلس الحلف الأطلنطى فى دورته المنعقدة فى روما فى شتاء سنة ١٩٥١

هذه الطبقات الكثيفة جامدة متحجرة تنفرد فى التأثير بسلوك رجال الحكم السوفيتى بصورة قد تتناقض فى بعض الحالات مع طبيعة العقلية والمقومات الخلقية للشعب الروسى . وليس هذا التناقض بشئ جديد فى سلوك الأفراد والجماعات ؛ فالبريطانى فى بلده إنسان يختلف فى عقليته وسلوكه عن مواطنه الذى يتولى حكما فى مستعمرة أو ينفذ سياسة معينة درب نفسه على تنفيذها مسلحا بثقافة استعمارية خاصة، فرجال السلك الخارجى البريطانى مثلا حين ينتدبون للخدمة فى المستعمرات والمحميات والانتدابات يمرون فى تدريب خاص فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة لندن مثلا ، وما أكثر ما خلقه هذا التدريب من سلوك شاذ بعيد عن أوصاف العقلية البريطانية التقليدية

وبمثل هذا القياس يجب أن نوازن بين رجال الحكم السوفيتى فى موسكو وبين المواطنين الروس من غير رجال الحكم والإدارة . فنصف رجال الحكم بأن لهم عقلية سوفيتية (والسوفيت كلمة اشتقت بعد توطد الحكم الشيوعى فى روسيا) ولنعرج الآن بعد هذه المقدمة على صلب البحث ونحاول أن نتعرف على بعض خصائص السلوك السوفيتى وعقلية الذين يوجهونه

نيويورك — للكلام بقية — عمر حليق

٥ - الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

لماذا استقسم العرب بالأزلام ؟

كان العرب فى الجاهلية على حيرة من أمرهم : أديان شتى ، وقبائل شتى ؛ لا نظام لهم يجتمعون عليه، ولا حكومة موحدة يرجعون إليها ، ويقفون عند الحدود التى ترسمها ، والقوانين التى تضعها فتكون موضع التنفيذ . والصحراء التى يضطربون فيها فتغتالهم حينا وتبسط عليهم جناح الأمن حينا ، وكذلك حال الفزع التى كانت تفاجئهم من أشباح الحرب والثارات التى تصبحهم وتمسيهم ، وتفاجئهم فى ساعة من ليل أو ساعة من نهار . وكذلك حالتهم المعيشية التى تصيبهم بالبؤس المدقع والجوع القاتل أحيانا ، لاضطراب الحياة الاقتصادية . وكثرة حوادث القتل والاغتيال التى يتعذر عليهم إصدار حكم فيها . كل أولئك جعلهم فى حيرة من أمرهم ، وألقى عليهم ظلا ممتدا قاتما من التردد والحيرة ، والشك والاضطراب . فكان لابد لهم مما يذهب عنهم هذه الحيرة القاتلة ، فلجأوا إلى وسائل شتى ظنوها تجلب إليهم شيئا من الروح والطمأنينة وإن صارت عليهم حربا فيما بعد ذلك . لجأوا إلى التفاؤل والطيرة فحكموا الطير والحيوان فى أمورهم ، أيقدمون أم يحجمون . وتفاءلوا بالأصوات والكلمات يلتمسون فيها المعنى الذى يبسطهم فيمضون فيما هم بسبيله ، والمعنى الذى يقبضهم فيرتدون إلى حيث الأمن والسلامة

قال الجاحظ(1) : ويدل على أنهم يشتقون من اسم الشئ الذى يعاينون ويسمعون قول سوار بن المضرب :

تغنى الطائران ببين ليلى ... على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى ... وفى الغرب اغتراب غير دانى

فاشتق كما ترى الاغتراب من (الغرب) والبينونة من (البان)

وقال جران العود :

جرى يوم رحنا بالجمال نزفها ... عقاب وشحاج من البين يبرح
فأما العقاب فهى منها عقوبة ... وأما الغراب فالغريب المطوح

فلم يجد فى العقاب إلا العقوبة ، ووجد فى الغراب معنى الغربة واستخبروا الجماد ، فكانوا يضربون بالحصى ليحكم بينهم فى أمرهم ، يطيعون حكمه وهو الجماد الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئا

كان يفعل ذلك دهماء العرب ذوو النفوس اللينة الضعيفة

ويذكرون أن النابغة الذبيانى كان من أولئك . زعم الأصمعى(2) أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ! فلما رجع زبان من تلك الغزوة غانما سالما قال :

تخبر طيره فيها زياد ... لتخبره وما فيها خبير(3)

(1) الحيوان (٤ : ٤٤٠)
(2) الحيوان (٤ : ٤٤٧)
(3) زياد : اسم النابغة الذبيانى . ومما يجدر ذكره أن العرب يعدون (الجراد) من الطير

أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور

والبيت الثاني من هذه الأبيات يدلنا على مقدار إيمان بعض العرب بالطيرة ، وخضوعهم التام لسلطانها كما أن البيت الرابع يدلنا على نظرة العقلاء منهم إلى الطيرة ، وأنها من صميم الاتفاق لا غير . وكان زبان من دهاة العرب وساداتهم

وممن كان لا يرى الطيرة شيئا المرقش من بني سدوس ، إذ يقول :

إني غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
فكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

فالعرب في جاهليتهم كانوا يضطرون إلى ذلك ليجتلبوا قوة العزيمة فيما ضعفت عزيمتهم فيه ، وليقطعوا الشك قطعا بذلك الحكم الحاسم الذي يخضعون له خضوعا كاملا

١ — فكان العربي إذا أراد السفر والنقلة من موضعه استقسم بالأزلام ، ففي السفر مخاطر كثيرة ، مخاطر الطريق أن يضل به أو تتعرض له في جنباته السباع ، أو تطيح به الناقة الهوجاء ، ومخاطر الرحلة التي يمتليها فقد تهلك راحلته فتستبد به مشقة السفر . وتحدثه نفسه بعدذلك ، أيؤوب سالما غانما ، أم يغتاله الهلاك وتطويه الخيبة ، فلا بد له أن يقوى عزمه باستشارة الأزلام فهي التي تأمره ، وهي التي تنهاه

٢ — وكان العربي إذا ابتغى تجارة وليست التجارة أمراً هينا عند العرب ، فلا بد للتجارة في أغلب الأمر من رحلة إلى شرق البلاد أو غربها ، أو شمالها أو جنوبها ، وفي ذلك التعرض للسلب والنهب والمداوات القبلية . فهو قبل أن يضع رجله في غرز ناقته يستفتي الأزلام لتبشره بالفوز وتؤيد رأيه في القيام بهذه الرحلة ، أو لترده عما عسى أن يكون قد كمن له في ثنيات الطريق من مخاوف وأخطار

٣ — وكان العرب يلقون بالا كبيرا إلى الأنساب ، يتحرجون أن يدخل الأجنبي في أنسابهم ، مبالغة منهم في حصانة القبيلة وتماسكها ، فإذا شكوا في نسب مولود أو رجل فليست لهم وسيلة تذهب عنهم ذلك الشك إلا أن يحتكموا إلى الأزلام لتخبرهم بصحة نسبه أو بطلان ذلك

٤ — وكانوا إذا خرجوا في حرب عرجوا قبل ذلك على أمين الأزلام ليكشف لهم بأزلامه عما يخبئ الغيب لهم من فوز وغنيمة ، أو خيبة وإخفاق فيمضون أو يرتدون

٥ — وإذا حصل بينهم (مدارأة) أي خلاف وخصومة ، فإن الحكم فيها هو الأزلام[٤]

٦ — وإذا أرادوا استنباط المياه وأرادوا أن يحفروا بئرا ضربوا بالقداح يستأمرونها في ذلك[٥]

٧ — وكذلك الأمر إذا عزم أحدهم على زواج ، أو على ختان ولده ، أو على بناء قبته ، وسائر شؤون الحياة التي يطرأ عليه فيها الشك والاضطراب[٦]

أزلام الاستقسام

وأزلام الاستقسام هذه شبيهة بقداح الميسر ، فهي عيدان تسوى مثل ما تسوى عيدان قداح الميسر . وإنما سميت هذه القداح بالأزلام لأنها زلت ، أي سويت . ويقال : رجل مزلم وامرأة مزلمة ، إذا كان خفيفا قليل العلائق . ويقال : قدح مزلم ، وزلم إذا ظرف وأجيد قده وصنعه . وما أحسن ما زلم سهمه ، أي سواه . ويقال لقوائم البقر أزلام ، شبهت بالقداح للطافتها[٧]

وقد أسلفنا القول أن قداح الميسر تحز فيها حزوز ، أو توسم بوسوم تميز بعضها عن بعض . ولكن أزلام الاستقسام كانت تعلم بعلامات أخر تتفق مع الغرض الذي أعدت له ، وذلك بكتابة خاصة تسجل عليها ، كما سيأتي

ويختلف الرواة في عدد هذه الأزلام فيلنون بها الثمانية عدا . كتب على واحد منها : (أمرني ربي) ، وعلى واحد منها : (نهاني ربي) وعلى واحد : (منكم) ، وعلى واحد : (من غيركم) وعلى واحد : (ملصق) وعلى واحد : (العقل) أي الدية . ويضمون إلى هذه الستة قدحا غفلا لم يكتب عليه شيء ، فإن خرج الغفل مرة أعيد الضرب إلى أن يخرج غيره من القداح

(٤) المحبر لابن حبيب ، بتحقيق الدكتوره ايلزه س ٣٣٢

(٥) تفسير أبي حيان (٣ : ٤٢٥) والسيرة لابن هشام ٩٧ طبع جوتنجن

(٦) المحبر ، وتفسير أبي حيان ، وتفسير الفخر (٣ : ٣٥٧) ، والميسر والقداح ٣٩ — ٤٠

(٧) الفخر الرازي (٣ : ٣٥٧)

وذكر ابن حبيب فى المحبر (٨) أنه قد كتب على أحدها (افعل) وعلى الثانى (لا تفعل) وعلى الثالث (نعم) وعلى الرابع (لا) وعلى الخامس (خير) وعلى السادس (شر) وعلى السابع (بطئ) وعلى الثامن (سريع) . وذكر أيضا أنه كتب على بعضها (صريح) وعلى الآخر (ملصق) . كما ذكر أن قداح (المدارأة) التى سبق الكلام عليها كانت بيضاء ليس فيها شئ . وذكر أيضا أنه كان للحضر والسفر سهمان فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن : « اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان » . فيرضى بما خرج له

وذكر ابن الكلبى (٩) عند الكلام على « هبل » : « وكان فى جوف الكعبة ، قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أولها (صريح) والآخر (ملصق) فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج (صريح) ألحقوه ، وإن خرج (ملصق) دفعوه . وقدح على الميت ، وقدح على النكاح ، وثلاثة لم تفسر لى على ما كانت . فإذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه »

قال : « وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله »

وسنذكر هذا الأمر بتفصيل عند الكلام على العامل الدينى

وذكر أيضا فى الكلام على ذى الخلصة (١٠) : « وكانت له ثلاثة أقدح : الآمر ، والناهى ، والتربص »

وقال ابن هشام (١١) : « وكانت عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه (العقل) — أى الدية — إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به فى القداح فإن خرج قدح نعم عملوا به . وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر . وقدح فيه (منكم) ، وقدح فيه (ملصق) ، وقدح فيه (من غيركم) ، وقدح فيه (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به .

(٨) المحبر ص ٣٣٢
(٩) فى الأصنام ص ٢٨ وعنه نقل ياقوت فى (هبل)
(١٠) الأصنام ٤٧ ونقل عنه ياقوت فى (الخلصة)
(١١) السيرة ٩٧ جوتنجن

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو ينكحوا منكحا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل »

وقال الجاحظ (١٢) : (واستعملوا فى القداح الآمر ، والناهى ، والمتربص . وهن غير قداح الأيسار)

وفى صبح الأعشى (١٣) : (افعل ، لا تفعل ، نعم ، لا ، خذ ، سر ، سريع) . وقال : (وإن كان بين اثنين اختلاف فى حق (١٤) سمى كل منهما سهما وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه فالحق له)

واختلاف الروايات فى ذلك يدلنا على أن العرب ما كانوا يلتزمون فى صناعة الأزلام نهجا معينا يتسررون عليه أنفسهم ، وإنما كان لكل كاهن من كهانهم ، ولكل حكم من حكامهم طريقة خاصة فيما يكتب على أزلامه من الإشارات ، كما يدل على أن لكل قضية من قضايا الاستفتاء أزلاما خاصة بها تناسبها وتنهض لها

للكلام صلة

عبد السلام محمد هارون

(١٢) الحيوان (٣ : ٤٤)
(١٣) صبح الأعشى (١ : ٤٠٢)
(١٤) هذا ما سماه ابن حبيب (المدارأة) ، كما سبق

٣ ـ تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مؤتمر برلين ١٨٧٨

لا أستطيع أن أتحدث عن تركيا دون أن أشير إلى أهمية مؤتمر برلين وأثره فى تاريخ تركيا وفى السياسة الدولية العالمية فإن هذا المؤتمر يعتبر مفترق الطرق فى السياسة الأوربية الحديثة بل وفى السياسة العالمية

وقبل أن أتحدث عن هذا المؤتمر يحسن بى أن أصف الظروف الدولية التى أدت إلى انعقاده

فى ١٨٧٥ قامت الثورة ضد الحكم التركى ومظالمه فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وسرعان ما اشتعلت نيران الثورة فى جميع أنحاء البلقان فى بلغاريا وفى الصرب وفى الجبل الأسود وفى رومانيا ، وقام القتال بين الأتراك وبين شعوب البلقان

وإذا عطست شعوب البلقان اضطربت أوربا فإن شبه الجزيرة هذه تعتبر مخزن البارود فى أوربا ، ولذا سرعان ما تدخلت الدول : تقدم الكونت أندراس وزير النمسا باقتراحات لإنهاء الثورة قبلها السلطان ورفضها الثوار ، وعقدت الدول مؤتمر القسطنطينية ١٨٧٧ لحل المشكلة ، ولكن السلطان فاجأ الدول فأعلن الدستور وبمقتضاه أصبح أمر الحكم متروكا للشعوب ، وأعلن أن الدول بمقتضى معاهدة باريس ١٨٥٦ لا يحق لها أن تتدخل فى شؤون تركيا الداخلية ، وانفض المؤتمر ولكن الثورة زادت اشتعالا

وأخيرا جاءت الروسيا لمساعدة شعوب البلقان ولتحقيق مآربها ، فأعلنت الحرب على تركيا ١٨٧٧ وتقدمت جيوشها حتى وقفت على أبواب القسطنطينية فى يناير ١٨٧٨ ، وحينئذ طلب السلطان الصلح وأمرت إنجلترا أسطولها فى الوقت نفسه بالتقدم إلى مياه القسطنطينية وبضرب الروس إذا حدثتهم أنفسهم بدخول القسطنطينية

وأمام الهزيمة اضطر السلطان أن يقبل ما عرضته عليه روسيا وأن يوقع معاهدة سان ستفانو فى مارس ١٨٧٨ وبمقتضى هذه المعاهدة تقرر أن تستقل رومانيا والصرب والجبل الأسود استقلالا تاما وأن تمنح البوسنة والهرسك استقلالا إداريا وأن تأخذ الروسيا باطوم وقارص وإرزن وأن تنشأ بلغاريا العظمى التى كانت حدودها تمتد من البحر الأسود إلى بحر إيجة ومنه إلى البحر الأبيض . وكان مفروضا أن بلغاريا العظمى هذه ستقع تحت حماية روسيا وبذلك يتحقق الحلم الروسى وهو الوصول إلى البحر الأبيض

لكن الدول وخاصة إنجلترا ثارت ضد هذه المعاهدة التى تضع البلقان تحت حماية روسيا وطلبت عرض المعاهدة على مؤتمر يعرض فى برلين

وقد اجتمع هذا المؤتمر فى برلين فى يوليو ١٨٧٨ تحت رئاسة بسمارك منشئ ألمانيا الحديثة ورئيس وزرائها إذ ذاك وكبير دهاة الساسة وقطب السياسة الدولية حتى إن الفترة من ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تسمى بعصر بسمارك . وقد عبر بسمارك عن السياسة التى انتهجها بقوله (لقد كنت سمسارا شريفا) . صحيح أن ألمانيا لم تأخذ لنفسها شيئا ولكنها أعطت ومنعت وأرضت وأغضبت فأثارت الشحناء والبغضاء وأقامت الصداقات مما جعل هذا المؤتمر بحق مفترق الطرق فى السياسة الدولية

أخذت النمسا البوسنة والهرسك فرضيت وتوطدت صداقتها مع ألمانيا لأن انداد النمساوى كان أغلى من الدم الروسى ، وغضبت الروسيا وكان ذلك تمهيدا لانسحابها من تحالفها مع النمسا وألمانيا وقيام التحالف بينها وبين فرنسا ثم إنجلترا فيما بعد

وأما إنجلترا فقد حققت ما كانت ترنو إليه إذ قضى المؤتمر على بلغاريا العظمى فأعيدت مقدونيا إلى تركيا وبذلك حرمت بلغاريا من شواطئ على بحر إيجة والبحر الأبيض ، وجعلت بلغاريا الحقيقية إمارة مستقلة استقلالا داخليا وجعل الروملى الشرقى إمارة يحكمها وال مسيحى فوافق السلطان على تعيينه . وأخذت إنجلترا جزيرة قبرص ورضيت وعاد رئيس وزرائها دزرائيلى إلى بلاده يقول (لقد حققت السلام وجئت بصلح مشرف)

وجدير بى أن أذكر أنه فى ذلك التاريخ لم يكن هناك مايدعو إنجلترا إلى أن تعادى ألمانيا ، ولكن ظهور مطامع ألمانيا

الاستعمارية فيما بعد هو الذى أدى إلى قيام العداء بينهما ، وهوالذى محا العداوة التقليدية بين فرنسا وإنجلترا وأدى إلى قيام الصداقة بينهما ، تلك الصداقة التى تجلت فى وقوف جيوشهما جنبا إلى جنب فى الحربين العالميتين الأولى والثانية

وأما فرنسا فقد كانت جريحة كسيرة إثر هزيمتها فى حرب السبعين وانتصار ألمانيا عليها واحتلالها لبلادها، ولذلك لم يكن لها نصيب يذكر فقد كان المؤتمر تحت رئاسة بسمارك عدوها الأكبر

وقد كان بسمارك يعمل دائما على عزلة فرنسا ويحاول جاهدا ألا تجد لنفسها أصدقاء ؛ وكان يؤمن بأن فرنسا لن تجرؤ على الوقوف فى وجه ألمانيا طالما كانت وحيدة لا حليف لها

على أن سخط روسيا على ألمانيا بسبب موقفها منها فى المؤتمر كان الدافع الأول إلى أن تمد روسيا يدها إلى فرنسا ١٨٩٣ وقد انضمت إليهما إنجلترا ١٩٠٧

وأما إيطاليا فقد غضبت لأن فرنسا استولت على تونس ١٨٨٢ وكانت إيطاليا تطمع فيها وبذلك انضمت إيطاليا إلى ألمانيا والنمسا ، وهكذا انقسمت أوربا إلى معسكرين : إنجلترا وفرنسا والروسيا فى جانب ، وألمانيا والنمسا وإيطاليا فى جانب آخر

والصرب غضبت لأن النمسا انتزعت منها ولايتى البوسنة والهرسك وهى تعتبرها جزءا منها وبذلك انضمت إلى جانب فرنسا والروسيا وإنجلترا ، ولقد كان اغتيال طالبين صربيين لولى عهد النمسا فى ٢٨ يونية ١٩٠٤ سبب قيام الحرب العالمية الأولى

وتركيا غضبت على أصدقائها لأن هؤلاء الأصدقاء كانوا فى الواقع أعداء ، وكانت مصالحهم سبب صداقتهم ، وكان أهم هؤلاء الأصدقاء إنجلترا وفرنسا . أما إنجلترا فقد أخذت قبرص ١٨٧٨ واحتلت مصر ١٨٨٢، وأما فرنسا فقد استولت على تونس١٨٨٢

وكان مسلك إنجلترا وفرنسا هذا سببا فى إغضاب تركيا مما دفعها إلى أن تتجه شطر ألمانيا ، وكانت ألمانيا قد بدأت تغير من سياستها وتعمل على اتخاذ مناطق نفوذ لها فرحبت بصداقة تركيا وعملت على مد يد المعونة إليها وشرعت فى ربط تركيا بألمانيا وإنشاء سكة حديد برلين — بغداد مما أثار مخاوف إنجلترا

وقد وقفت تركيا بجانب ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، أما إيطاليا فبرغم أنها كانت حليفة لألمانيا وقفت على الحياد فى أول الحرب، حتى إذا تجلى لها أن كفة الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) راجحة نكثت بعهدها ونقضت سابق تحالفها وانضمت إلى الحلفاء ١٩١٥

وقد بذل الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٨ جهودا جبارة فى الدفاع عن بلادهم وأنزلوا بالإنجليز خسائر فادحة فى موقعة غاليبولى ١٩١٦ وردوهم عن بلادهم ، وكذلك قضوا على عدة حملات بعثت بها إنجلترا إلى العراق ، ولكن تلك الجهود لم تؤثر فى نتيجة الحرب فسرعان ما سقطت العراق وفشلت حملة فلسطين ومصر وتقدم الجنرال ألنبى فاحتل فلسطين ١٩١٧ وتقدمت قواته فاحتلت سوريا ١٩١٨ وساءت حالة تركيا فاضطرت إلى قبول الهدنة فى ٣١ أكتوبر ١٩١٨ ، واحتلت إنجلترا القسطنطينية وقلاع الدردنيل والمواقع الحربية الهامة ، ونزل الفرنسيون والسنغاليون باستنبول واحتل الإيطاليون (بيرا) وخطوط السكك الحديدية . وهكذا أصبحت تركيا تحت سيطرة الحلفاء

وفى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ أرغم مندوبو حكومة الآستانة على توقيع معاهدة سيفر وبها فقدت تركيا العراق ومصر وبلاد العرب وفلسطين وسوريا وتراقيا فى أوربا

وهكذا كانت معاهدة برلين ١٨٧٨ معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى أوربا ، وكانت معاهدة سيفر معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى آسيا وإفريقيا

بل أكثر من هذا لقد أصبحت تركيا ذاتها موضع إذلال محتليها وكانت الشعوب الصغيرة التى طالما خضعت لحكمها تطمع فى تقسيمها والاستيلاء على أراضيها . أما كيف تخلصت تركيا من متاعبها وكيف انتصرت على قاهريها فذلك ما سنفصله فى حديث قادم إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

من سير الخالدين

حياة المازني *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من إتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ١ —

عهد الطفولة

لم يعش المازنى طفولته ، أو هو جازها مسرعاً ، بأسرع مما يجوزها الأطفال فى مثل سنه . وكأنما كانت طفولته ، فى قصرها واقتضابها ، أشبه بالحلم الجميل بددته صحوة مفاجئة وروعه نذير غير منتظر . فقد بكرت عليه الحياة بأحزانها وآلامها ، وحملته فى ذلك العمر الغض تبعاتها التى تؤخرها عن غيره عادة إلى ما بعد مرحلة الشبيبة والنضج

قضى أبوه وهو بعد طفل فى التاسعة ، فأرادت أمه أن يكون عليه معتمدها بعد أبيه — وكان أكبر ابنيها وإن لم يكن أكبر إخوته — وصارت تعامله كأنه رب الأسرة وسيد البيت ، وأخذت توطنه على احترام النفس واحتمال العبء ومواجهة الحياة . وقد وسعها ذلك فقد كانت رزاناً حصيفة عاقلة ، « صارمة الجد ، حادة قاطعة كالسيف ، غالبة كالقدر » أو كما أوجز هو وصفها حين قال عنها إنها كانت « رجلا » . ووسع الفتى الناشئ يومذاك أن يفهم عن أمه .. ويوم سمعها تقول له فى شئ من الصرامة المنتصبة يخالطها فرط الحنو :

« إسمع يا إبراهيم ! إنك لم تجاوز العاشرة ، ولكنى أحب لك أن تعد نفسك من الآن ، رجلا . . فتسلك سلوك الرجال لا الأطفال »

فى ذلك اليوم ، أو فى تلك اللحظة منه ، قطع الطفولة كلها وثبا

***

كان مولد المازنى بالقاهرة (١٨٩٠) فى أحد الأحياء الوطنية التى ظلت ، إلى عهد قريب ، محتفظة بطابعها القديم . وفى القاهرة درج المازنى ثم شب ثم جاوز الشباب إلى الرجولة فالكهولة . ولعل هذا سر تعصبه لها وإيثاره إياها . ولقد عدها بلدته وإن لم تكن بلدة آبائه وأجداده الذين كانوا يستوطنون بلدة « كوم مازن» من أعمال تلا بمديرية المنوفية

ويذكر المازنى أن ولادته كانت فى دار لزوج عمته ، وإن كانت مشاعاً لمن شاء أن يتخذها سكنا من ذوى قرابته . وقد خصصت بعض « المناظر » — وهى الغرف الواسعة — التى تقع على جانبى الفناء من تلك الدار ، مكتباً يستقبل فيه أبوه موكليه من أصحاب الدعاوى والأقضية ، وكان أزهرى الثقافة فاشتغل زمنا بتدريس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية ، ثم هجر التدريس واحترف المحاماة إلى آخر أيامه . وكان على الحالين مبسوط الرزق موفور الدخل ، ولكنه كان كذلك متخرق اليد بالنفقة والعطاء ، مسرافاً فى تحقيق رغائبه وتلبية أهوائه ، ولعله لهذا السبب كان مزواجا يكثر من البناء بالتركيات على الخصوص. وكانت طبيعة عمله فى المحاماة تقتضيه أن يلم بالقسطنطينية بين حين وحين ، فكان كلما سافر إليها عاد منها بزوجة جديدة ، لا يلبث أن يعود بها أدراجه إلى بلدها فيسرحها بإحسان ويبنى بسواها . على أنه كان ، فيما عدا ذلك ، حليما طويل البال قليل الكلام ساكن الطائر . ولعله استفاد مزية الأناة والحلم من كثرة ماراض نفسه على احتمال ما كان يتعرض له ، من الجفوة والمتبة ، من أبيه الشيخ أو من زوجته الشابة المصرية أم أولاده ، كلما استجد عليها إحدى تركياته الحسان

وكان ، كما هو المعهود فى أصحاب هذا الطبع ، قليل الاستقرار فهو لا ينفك ينتقل بأهله من دار إلى دار . وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع المازنى الطفل أن يحتفظ فى ذاكرته بالصورة الغالبة على تلك الدور . وأبقى ما بقى منها منظر الفناء الرحيب الذى كان صفة مشتركة بينها ، والذى كان على هيئة الصحن تقمى فى وسطه أحيانا شجرة جميز عتيقة عظيمة كثيفة الغصون ، وربما قامت

(*) من كتاب عن « المازنى الأديب الساخر » تحت الطبع

في موضعها نافورة ماء تروى الحديقة المترامية الأطراف من حولها

وقد قضى المازني سنى الطفولة الباكرة في بيت من بيوت المماليك — وكانت تعرف ببيوت « النز » — في درب الجماميز، ويصفه المازني فيقول « كان البيت عجيب الطراز، له بوابة ضخمة تصلح أن تكون لقلعة، ومع ذلك لا تغلق في ليل أو نهار، ثم مدخل طويل ضيق على جانبيه الغرف وهي أبداً موصدة الأبواب والمرء لا يستطيع في النهار أن يبصر كفه من شدة الظلمة، وكنا نضع مصباحاً ولكنه لم يكن يضيء شيئا، بل كان كل ماله من النفع هو أن يرينا شدة السواد ويزيده وقعا في النفوس »

وكان الصبيان من لداته وأترابه يقضون أيامهم في اللعب البرئ، فيجتمعون في فناء إحدى الدور، أو يخرجون إلى الطريق — أو (الحارة) كما يسمونها — يصرفون نهارهم كله فيما يتعلقون به من فنون اللهو. وكان المازني الطفل أشوقهم إلى اللعب وأرغبهم فيه وأجزلهم حظا منه، وقد تميز من بينهم بحب الدعابة وميل إلى الفكاهة. وكانت فيه دفعة وجرأة تغريانه بالتقحم والمغامرة وطلب الشجار أو (جر الشكل) كما يقول، وإن كان مع ذلك ضعيفا نحيفا، ولقد اعتاض من ضعفه سعة الحيلة والدهاء، فصارت له بفضله منزلة بين لداته الصبيان

على أنه لم يكد يهنأ بهذه الرغبة الطبيعية فيه أو يأخذ بحظه منها؛ فقد كان يدفع دونها ويحلأ عنها، فلا يهم باللعب مرة إلا زجره أهله ونهوه عنه كأنما كان يقترف منكراً ويقارب معصية، حتى لخيل إليه — وهو يدير عينه في تلك الأيام — أن وظيفة الآباء والأمهات (كانت صرف الأبناء عن النظر والتفكير، وإلزامهم الجمود ونهيهم عن كل حركة جسيمة أو عقلية)

ولا غرابة بعد ذلك أن تضيق نفس الطفل بالبيت وبالحياة فيه، وأن يراه أشبه بالجحيم. فهو لا يكاد يقبل إلى الدنيا، غريبا عنها مأخوذا بجدتها مشوقاً إلى معرفتها؛ يحفزه إلى ذلك نفسه المتفتحة وطبعه المتوثب؛ حتى يطالبه الكبار بأن يكون له، هو الطفل الغرير، « عقل الكبار واتزانهم وفهمهم »

وربما بدا عصيا على التصديق أن تكون هذه نظرة الطفل إلى البيت في ذلك العهد. ولكن الأمر لا يتعاصى على التحقيق، إذا عرفنا أن المازني نشأ في بيت من بيوت الورع والتقوى، فأبوه وجده من علماء الأزهر، وقد طرقت مسامع الطفل الناشئ آنذاك عبارات الثناء على جده من أفواه تلاميذه وعرف منهم منزلة مرعية للشيخ. وكذلك كان هذا البيت ببنيانه فضلا عن سكانه؛ فكان يقوم في فنائه مصلى أو مسجد صغير « عامر أبداً بالمصلين ليلا ونهارا »، ويختلف إليه المريدون والأتباع يعقدون حلقات الذكر التي كانت تمس قلب الطفل الصغير وتملك عليه نفسه، فينضم إليهم، ويأتي بمثل ما يأتونه من صوت وحركة فكانت نشأته أقرب إلى النشأة الدينية التي يغلب عليها المحافظة والتوقر ومجافاة ما عساه يكون مظنة شك أو مدعاة ريبة، مع التشدد في التقاليد المرعية والعرف السائد، والذهاب في ذلك كله إلى حد المغالاة والإسراف. ومن طرائف ما لقيه الطفل في هذه النشأة، أنه درج يسمع عن شخصين في البيت ولا يراهما أبدا؛ « وإن كان ذكرهما على لساني أبي وأمي؛ وهما « الست » و « الأفندي »؛ فأبي يقول للخادمة مثلا، قولى كذا أو كذا « للست »، ويتحدث في أوقات شتى ولا سيما حين يكون معه رجال من أقربائنا عن هذه « الست ». وأمي لا تفتأ تقول، « الأفندي » قال أو « الأفندي » أتى أو « الأفندي » خرج. فأعجب أين هما؟ ولماذا لا أراهما؟ وأصعد إلى السطح باحثا عنهما فلا أجدهما، وأدخل كل غرفة فلا أهتدي إلى أثرهما، وأنزل إلى فناء الدار فلا ألتقي بهما. أين ينامان يا ترى؟ ماذا يأكلان؟ ألا يظهران أبداً؟ » ... وظل يجهل شخصيهما حتى قدر لهذا اللغز أن يحل على يد جده الذي قال له « لقد أخطأوا معك يا بني، وكان حقهم أن يدلوك »

ونحسبنا في غنى عن القول بأن هذين الشخصين لم يكونا أحداً غير أمه وأبيه، يذكر كل منهما الآخر، ويتحدث عنهما الآخرون، فلا يعدى في الإشارة إليهما عن تينك الصفتين، وكانت النتيجة هي ذلك الازدواج الساذج في وهم الطفل الصغير

***

وعلى هذه الحال ، دفعوا بالطفل ، وهو لم يعد الخامسة ، إلى كتاب من كتاتيب القاهرة لذلك العهد ، على مقربة من الدار . . ويقول المازنى « ويصبح الصباح فأحمل إلى الكتاب حملا ، وهناك توضع قدماى فى « الفلقة » ويهوى عليها « سيدنا » — فقيه الكتاب — بالجريدة أو « القرعة » أو يكل ذلك إلى مساعده « العريف » ، وبهذا يبدأ النهار .. »

على أن عهده بالكتاب لم يطل . فقد أصرت أمه على المدرسة وألحقته — عن طريق إحدى معارفها — بمدرسة للبنات . ولم يلبث أن هرب منها — أو من قسوة ناظرها — إلى مدرسة أخرى كانت تقع وقتذاك فى شارع تحت الربع — أو فى درب سعادة — وعلم أبوه بذلك فنقله إلى مدرسة « القرشولى » فى شارع محمد على ، على مقربة من القلعة . وبقى بها هذه المرة حتى أدى الامتحان فى آخر العام ، ومع ذلك فقد أبى الناظر أن ينقله إلى فرقة أعلى لصغر سنه ، ولعله بقى بهذه المدرسة عاماً آخر ، استقر بعده فى المدرسة القريبة

ويقول المازنى « كنت أعود عصر كل يوم إلى البيت ، فأرمى كتبي وكراساتى وأخرج إلى الشارع لألعب مع أقرانى ، فأزجر عن اللعب ، فأصعد وأطل على اللاعبين من الشرفة ، وبى حسرة ولهفة . وأسمعهم يصفوننى بالعقل والهدوء ، فألعن العقل وأذم الهدوء »

وقد كان فى حياة أبيه لا يعدم الوسيلة إلى اللعب والاحتيال له بما يدخل فى وسعه ؛ فقد كانت على أبيه جرأة لا يجدها على سواه . فلما مات أبوه وهو يشرف على التاسعة أرادت أمه أن تصرفه عن اللعب وأن تنأى به عنه ، وألقت إليه فيما يشبه الإيحاء أن يعد نفسه — قبل الأوان — رب الأسرة ورجلها وواحدها ، وأعدت من ناحيتها للأمر عدته ، فكان إذا انتهى العام الدراسى وحل الصيف ، بعثت بابنها إلى كتاب فى الأزهر ليحفظ القرآن فلا يجد الطفل للعبه من الوقت إلا الهين اليسير

ولقد كان المازنى خليقاً أن يستوفى حظ طفولته من رغد العيش وخلو البال وعدم الاشتغال بأمر نفسه فضلا عن أمور غيره ، لولا أن الأقدار كانت تهيىء له أمراً ، فكتبت عليه أن يحمل فى تلك السن المتقدمة أعباء الرجال المسئولين ، بما أوحى إليه اليتم من ضرورة الاعتماد على النفس والكدح فى سبيل ما ينتظره منه أهله فى المستقبل . نعم ، لم يكن الطفل ملتزماً مطالب العيش لمن خلفهم أبوه بعده ، وإنما كان عليه أن يعرف أن عهد الطفولة ، أو عهد اللعب ، قد مضى ، وأن يقسر نفسه على غير ما تهيأ له طاقتها فى سنه . وعندما فرغت البقية الباقية من مال أبيه ، وقد كفل ذلك سرف أخيه الأكبر ؛ كان عليه أن يوطن نفسه على الفقر وأن يستمد له .. ولقد عرف المازنى الفقر فى ذلك العهد من حيانه ، وخبره عن كثب ، وامتحن به ، حتى وصفه بأنه أستاذه ، ولكنه كان يلقى على دروسه كما تهوى العصا على أم الرأس ! »

محمد محمود حمدان

كرامة الأخيار

للأستاذ محمد منصور خضر

لله در هؤلاء العلماء الأخيار الذين أكرموا العلم فأكرمهم الله وجعل لهم منزلة تتصاغر دونها منزلة الملوك ، وفروا إلى الله فحفظوا حدوده ولم يرضوا بالظلم لأن الراضى بالظلم كالظالم فى الإثم — وهذا أمر قل من يتنبه إليه فى هذا الزمان — فلا بد من إظهار الغضب والسخط على الظالم حتى يشهد له بذلك الخلق فيكون ذلك حجة له يوم القيامة وهو مالم نسمع به من العلماء فى عصرنا . وهاك أيها القارئ بعض أخبار العلماء الذين نصحوا لله ورسوله (فحفظهم وأعلى ذكرهم) :

كان الإمام مالك رضى الله عنه يقول : لما أرسل إلى أبو جعفر المنصور دخلت عليه فرأيت النطع بين يديه والسيوف مسلولة وهو يعاتب ابن طاووس على أمور ثم قال له : ناولنى الدواة فأبى ؛ فقال لهمامنعك ؟ قال خشيت أن أكون شريكا لك فيما تكتب. قال : فضممت ثيابى مخافة أن يصيبنى دمه ثم قال له : اذهب إلى حال سبيلك . فلم أزل أعرف ذلك لابن طاووس !

هذا وقد طلب أبو جعفر المنصور أيضا صحبة ابن أبى ذئب فقال له بشرط أن تقبل نصحى. فقال له أبو جعفر نعم فصحبه . فقال له أبو جعفر يوما : ماتقول فى ؟ فقال له : لا تعدل فى الرعية ولا تقسم بالسوية.. فتغير وجه أبى جعفر فولى عن ابن أبى ذئب ولم يطق صحبته

ومن ذلك أن هشام بن عبد الملك كان بمكة وطلب الاجتماع بطاووس اليمانى فلم يجبه طاووس إلى ذلك. فعمل عليه الحيلة حتى اجتمع به. فلما دخل عليه طاووس لم يسلم عليه بسلام الخلفاء وإنما قال: السلام عليك ياهشام ! كيف حالك ؟ وخلع نعليه بحاشية البساط وجلس بجانبه. فغضب هشام لذلك حتى هم بقتله. فقال له الوزير أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله عز وجل . فقال هشام ما الذى حملك على ماصنعت؟ فقال وماذا صنعت؟ فقال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تجلس بين يدى ولم تقبل يدى ولم تقل السلام عليك يا أمير المؤمنين كما يقول غيرك، وسميتنى باسمى ولم تكننى. فقال طاووس : أما مافعلت من خلع نعلى بجانب بساطك فإنى أفعل ذلك كل يوم خمس مرات بين يدى الله فى بيته فلا يعاقبنى ولا يغضب على . وأما عدم تقبيلى يدك فإنى سمعت على بن أبى طالب ينهى عن تقبيل يد الملوك إلا من عدل، وأنت لم يصح عندى عدلك. وأما عدم قولى لك يا أمير المؤمنين حين سلمت عليك فليس كل المسلمين راضين بإمرتك عليهم فخشيت أن أقع فى الكذب . وأما أنى لم أكنك فإن الله سبحانه وتعالى قد كنى أبا لهب لكونه عدوه ، ونادى أصفياءه بأسمائهم المجردة لكونهم أحباءه ، فقال يا داود يا يحيى ياعيسى. وأما جلوسى بجانبك فإنما فعلته اختبارا لعقلك فإنى سمعت على بن أبى طالب يقول يختبر عقل الأمير بجلوس آحاد الناس بجانبه فإن غضب فهو متكبر من أهل النار . فأخذت هشاما الرعدة وخرج طاووس من عنده بغير استئذان فلم يعد إليه :

ويقال إن عبد الملك بن مروان خطب يوما بالكوفة فقام إليه رجل من آل سمعان فقال مهلا ياأمير المؤمنين؛ أقض لصاحبى هذا بحقه ثم اخطب. فقال وما ذاك ؟ فقال إن الناس قالوا له مايخلص ظلامتك من عبد الملك إلا فلان فجئت به إليك لأنظر عدلك الذى كنت تعدنا به قبل أن تتولى هذه المظالم . فطال بينه وبينه الكلام فقال له الرجل : ياأمير المؤمنين إنكم تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولا تنتهون، وتعظون ولا تتعظون ، أفنقتدى بسيرتكم فى أنفسكم أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا فكيف ينصح غيره من غش نفسه ! وإن قلت خذوا الحكمة حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها فعلام قلدنا كم أزمة أمورنا وحكمنا كم فى دمائنا وأموالنا ! أو ماتعلمون أن منا من هو أعرف منكم بصنوف اللغات وأحكم بوجوه العظات؟ فإن كانت الأمانة قد عجزت عن إقامة العدل فيها فخلوا سبيلها وأطلقوا عقالها يبتدرها أهلها الذين قاتلتموهم فى البلاد وشتتم شملهم بكل واد . أما والله لئن بقيت فى يدكم إلى بلوغ الغاية واستيفاء المدة لتضمحل حقوق الله تعالى وحقوق العباد ! فقال له وكيف ذلك ؟ فقال لأن من كلمكم فى حقه زجر ومن سكت عن حقه قهر! فلاقوله مسموع، ولاظلمه مرفوع ولامن جار عليه مردوع، وبينك وبين رعيتك مقام تذوب فيه الجبال حيث ملكك هناك خامل وعزك زائل وناصرك خاذل

والحاكم عليك عادل. فأكب عبد الملك على وجهه يبكى ثم قال له: فاحاجتك؟ فقال عامِلك بالسماوة ظلمنى وليله لهو ونهاره لغو ونظره زهو، فكتب إليه بإعطائه ظلامته ثم عزله!

وحكى الكلبى عن رجل من بنى أمية قال: حضرت معاوية ابن أبى سفيان فى خلافته وقد أذن للناس إذنا عاما فدخلت عليه امرأة وقد رفعت لثامها عن وجه كالقمر الذى شرب من ماء البرد ومعها جاريتان لها تخطبت للقوم خطبة بهت لها كل من هناك ثم قالت: وكان من قدر الله تعالى أنك قربت زيادا واتخذته أخا وجعلت له فى آل سفيان نسبا ثم وليته على رقاب العباد فسفك الدماء بغير حلها ولا حقها، وينتهك المحارم بغير مراقبة فيها، ويرتكب من المعاصى أعظمها! لا يرجو لله وقارا ولا يظن أن له ميعاداً وغدا يعرض عمله فى صحيفتك وتوقف على ما اجترم بين يدى ربك، فماذا تقول لربك يا معاوية غدا وقدمضى من عمرك أكثره وبقى أيسره وشره؟ فقال لها من أنت؟ فقالت امرأة من بنى ذكوان وثب زياد المدعى أنه من بنى سفيان على وراثتى من أبى وأمى فقبضها ظلما وحال بينى وبين ضيعتى ومسكة رمقى؛ فإن أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزيادا إلى الله تعالى وأن تظل ظلامتى عنده وعندك، فالمنصف لى منكما الحكم العدل.. فبهت معاوية منها وصار يتعجب من فصاحتها ثم قال: مازياد لعنه الله مع من ينشر مساوينا، ثم قال لكاتبه اكتب إلى زياد أن يرد لها ضيعتها ويؤدى إليها حقها

وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان: ياأبا حازم مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقال: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟ قال: يا أمير المؤمنين: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسئ فكالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعرى مالى عند الله؟ قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال: « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال قريب من المحسنين، ثم قال سليمان: ياأبا حازم أى عباد الله أكرم؟ قال أهل البر والتقوى،

قال: فأى الأعمال أفضل؟ قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم، قال: فأى الكلام أسمع؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجو، قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها. قال فأى الناس أخسر؟ قال رجل حط فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره

فهكذا كان دخول أهل العلم على الملوك وهم بحق علماء الآخرة. فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص، ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم، ويأخذون الهدايا المنوعة ويباهون الناس بها لأنها هدية ملكية ولم يراقبوا الله فيهم فلم يعظوهم أو يخوفوهم من عذاب الله ومقته. ثم يكون بعد ذلك زوال الملك والعذاب الشديد يوم القيامة

شطانوف **محمد منصور خضر**

شــلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تتـمة

مور : من فوضنى بهذا ؟ — إن الظلام مخيم على كل مكان ، متاهات شائكة ، لا منفذ ، ولا نجم هاد ، يا ليتنى تخلصت من هذا النفس ، وكل شئ منه كمهزلة مؤسفة ، ولكن مامصدرهذا العطش الشديد للسعادة ! ما مصدر فكرة الكمال الذى لا يمكن التوصل إليه ! وهذا الاستمرار فى وضع الخطط الفاشلة ، إذا كان الضغط الطفيف على هذا الشئ التافه (ممسكا المسدس) يجعل من الحكيم والأحمق ، والجبان والشجاع ، وعزيز النفس وذليلها سواسية كأسنان المشط ، وإذا كان الانسجام الإلهى موجودا فى الطبيعة غير العاقلة ، فلم هذا النشاز فى الطبيعة العاقلة [1] ؟ — كلا ! كلا إن هناك شيئا خلف كل هذا ، لأننى لم أعرف العادة مطلقا إلى الآن . أتعتقدون بأننى سأرتجف يا أرواح الذين أهلكتهم ! ؟ لا لن أرتجف (يرتجف بعنف) — فأنينكم الخافت الميت ووجوهكم المختنقة السوداء ، وجروحكم الفاغرة المرعبة ما هى إلا حلقات فى سلسلة القدر ، ومصيرها فى النهاية يتوقف على ألاعيبى الصبيانية وعلى نزوات مربيانى ومعلمى ، وعلى مزاج والدى (مرتجا من الرعب) لماذا جعلنى بريلوس عجلا نحاسيا لأشوى الإنسانية السكينة فى معدتى الملتهبة ؟ (محدقاً فى المسدس) الآن يمكن ربط الزمان والخلود فى لحظة واحدة ! — أيها المفتاح المرعب الذى يغلق خلفى سجن الحياة ، ويفتح قدامى مسكن الليل الخالد — آه ، قل لى ! قل لى — إلى أين — إلى أين ستقودنى ؟ أ إلى الأرض الغريبة التى لم يعد منها إنسان . أنظر ، إن الرجولة تنهار أمام هذه الصورة ويستسلم الإنسان لهذا المنظر المروع ، والوهم الذى هو مسخ الشعور النزق يلعب بنا بصورة غريبة . كلا ! كلا ليس من شأن الرجل أن يتأرجح ويخور فى ساعة الحرج . كن من تشاء ، إننى أحتفظ بذاتى معى . أنا جنتى وأنا نارى . وإذا ، أردت أن ترسلنى وحيداً فريداً شريدا طريداً إلى ركن مشتعل من أركان الكون . هذا الركن الذى أقصيته عن ناظريك ، هذا المكان الموحش المظلم والصحراء المخيفة التى لا حراك فيها ليصبح ذلك كل ما آمله وإلى الأبد . إنى سأعمر هذا القفر الصامت بهواجس ، وسأتخذ من الخلود مجالا للكشف عن سورة البلاء اللانهائى

أو أنك ستقودنى من ولادة لأخرى ، ومناظر أخرى للألم المفجع قدماً إلى الفناء . أليس فى مكنتى قطع أسباب الحياة كما أقطعها هنا والآن ؟ هل لى أن أموت فى سبيل حياة تعسة ؟ هل سأمنح الشقاء نصراً على ؟ — كلا — إننى سأحتمل هذه الحياة (يرمى بالمسدس بعيداً) ولتتلم التعاسة نفسها على صخرة كبريائى . إننى سأسير محتملا إياها ( )

---

(١) يقصد بالطبيعة العاقلة الجنس البشرى

(٢) الفصل الرابع المنظر السادس

* * *

وفى مؤلفه (عذراء أورليانس) [3] نجد تالبوت ، ذلك المحارب القديم ، الأشهب ، الملحد ، الذى لا يقهر ، وهو يمر مفكرا بأرض المدم ، مستهزئا حتى بالقدر الواقف له بالمرصاد ، وهذا المنظر هو المنظر السادس من الفصل الثالث و (فى زحام المعركة)

(يتغير المنظر فيصبح فسحة منبسطة محاطة بالأشجار . وفى أثناء عزف الموسيقى يرى الجنود وهم يهربون من ساحة القتال) تالبوت ، متكئا على فاستولف ، يرافقه بعض الجنود . يقبل ليونيل بعدئذ بسرعة

تالبوت : ضعنى هنا ، تحت هذه الشجرة ، واعمدوا إلى المعركة : أسرعوا أنا لا أريد مساعدة كى أموت

(يدخل ليونيل) فاستولف ياليوم الشؤم ! أنظر ، ليونيل ، ماذا ينتظرك ، إن قائدنا الجريح يموت

ليونيل : لا سمح الله : آه يا تالبوت الجليل ، إن هذا ليس وقت الموت ، لا تستسلم للموت ، واجبر الطبيعة المترددة بقوة روحها حتى لا تفارقك الحياة

---

(٣) عن جان دارك القديسة المشهورة

تالبوت : عبثاً : إن يوم القضاء قد حم ، هذا القضاء الذى يسوى جبروت فرنسا بالرغام . وعبثاً ما ضحيت بأعز شىء لدى للصمود فى هذا التصادم الضارى وفى هذه المعركة اليائسة . لقد أصابت فى الصاعقة مقتلا فتحطمت . وها أنى مضطجع لا قومة لى بعد الآن . لقد خسرنا (ريمز) ، فأسرعوا لإنقاذ باريس

ليونيل : إن باريس بيد الدوفان ، وقد وصلتنا الآن الأنباء السيئة بأنها استسلمت

تالبوت : (يمزق ضماداته) وإذن تدفقى يا سواقى الحياة ، إن هذه الشمس أصبحت ممقوتة لدى

ليونيل : فاستولف ! انقلوه إلى المؤخرة : إن هـذا الموقع يمكن أن يصمد لحظات أخرى ، إن الخبثاء الجبناء يتراجعون ، لقد أقبلت الساحرة التى لا تقاوم ، يحيط بها الدمار والخراب

تالبوت : أيها الجندى ، إنك تنتصر وأنا أستسلم ؛ إن الآلهة أنفسهم ضعاف أمام البلادة والحرق ، وأنت يا آلهة العقل ، يا ابنة الإله الأكبر ، يا مؤسسة نظام الكون ، وقائدة النجوم ، من أنت إذا كنت مربوطة بذيل الحصان الأخرق ، حصان الخرافة ، إنك ستندفعين بعيونك المفتحة وصراخك المدوى إلى الهوة السحيقة مع ذلك الحيوان السكير ؟ ملعون من يربط مصيره بمصير العظماء والأشراف والمبجلين ، إن هذا العالم ملك سلطان أحمق

ليونيل : آه ، إن الموت قريب ! ففكر فى إلهك وصل ، ولو أن القدر هو الذى نصر الشجعان على أمثالنا المناوير لما اهتممنا قيد أنملة ، ولـكن إن تسحقنا مثل هذه الأضحوكة الوضيعة (٤) فأمر لا يستحق منا كل هذا التعب وكل هذه المخاطر

ليونيل : (يمسك بذراعه) وداعا ، تالبوت ! سأبكيك بملء دموعى إذا بقيت حيا بعد انتهاء المعركة . ولـكن القدر يدعونى الآن إلى ساحة المعركة ... وداعا ! إلى الملتقى وراء الشاطئ غير المنظور ، وداعا مبتورا لصداقة طويلة وليكن الله معك (يخرج)

تالبوت : إن كل شىء سينتهى آجلا ، وسأسلم إلى الأرض وإلى الشمس الأبدية هذه الذرات الفانية التى امتزجت ، إن خيرا أو شرا ، لتكوننى . أما تالبوت الجبار الذى ملأ صيته العالم فلن يبق منه إلا كومة من التراب السافى . وهكذا يقبل الإنسان إلى نهايته ، وكل نضالنا فى الحياة هو معرفتنا أنها عدم فى عدم ، وما علينا إلا أن نسخر من هذه الصورة الجوفاء التى كثيرا ما انتشناها وعبدناها (٥)

— الفصل الرابع —

(يدخل شارل ، برغندى ، دونوا ، دو شاتيل ، والجنود)

برغندى : لقد نسف الخندق

دونوا : مرحى ! إن المعركة فى صالحنا

شارل : (ملتفتاً إلى تالبوت) من هذا الذى يودع النهار بمثل هذا الوداع الحزين المكبوت ، فمظهره يدل على أنه إنسان اعتيادى ، إذهبوا فساعدوه ، إن كانت المساعدة جدية

(جنود من حاشية الدوفن يتقدمون إلى الأمام)

فاستولف : إلى الوراء ، إبتعدوا لا تقتربوا من الراحل البطل ، الذى كنتم تخشون التقرب منه فى الحياة

برغندى : ماذا أرى ؟ تالبوت الجليل متخبطا فى دمه

(يذهب برغندى إليه ، تالبوت ينظر إليه فى تمعن وتفرس ويموت)

فاستولف : ابتعد يا برغندى . لا تقلق آخر لحظة من حياة البطل بمنظر خائن

* * *

وقلما نجد فى هذا الكتاب تلك (الكلمات النارية القوية) كما يدعوها الألمان كالتى نجدها غالبا فى (اللصوص) لأن الهياج البركانى قد خف ، فبدلا من الحمم والدخان والشظايا المتطايرة نجد أشعة الشمس والعالم الزاهى . وهناك أمثلة مثيرة على هذا التبدل اللطيف فى مناظر كثيرة من مؤلفه (وولنشتاين) وكل كتبه الدراماتيكية التى أعقبت ذلك ، وخصوصا فى (وليم تيل) التى هى آخرها . وهذا التغير يمكن العثور عليه فى الكيان الشعرى فى كل هذه المؤلفات ، هذه المؤلفات التى تعتبر قصائد كاملة ، وكان أملنا أن نوفيها حقها فى الشرح ، ولـكن ضيق المجال منعنا من ذلك

وأملنا كبير فى القراء المتمكنين والشراح المنيين بأن يلتفتوا

(٤) يقصد بذلك جان دارك

(٥) تنقل هذا الكلام بأمانة شأننا فى ذلك شأن كل ماننقله ، ولسان حالنا يقول (ناقل الكفر ليس بكافر)

إلى هـذا . وأهم المؤلفات الشعرية التى نظمها شـلر هى (ليدر وبركاوش) و (رترتو غنبرغ) و (نضال التنيرة) و (النواص) و (كراكى — بيكى) وكلها تمتاز بالروح الإغريقية الصميمة كأنها نفحة عطرية من نفحات قيثارة أخيلوس المبقة ، أو كأنها أغان ملائكية (٦)

— فلسفة وعقيدة السكونية —

أما موهبة شلر الفلسفية وما توصل إليه فى هذا المجال الحيوى فأمر يحتاج إلى كثير من الجدل وكثير من التفكير ، وهذا مالن نطرقه الآن بإسهاب. وقدسبق أن أشرنا إلى أنه كان يمتاز بقابليتين: فلسفية وشعرية . وكان تفكيره معروفاً بهاتين الصفتين ، وكان عقله قويا ، نفاذا ، نظاميا ومدرسيا أكثر منه بدهيا ، وكان هذا الميل واضحا فى جميع البحوث التى عالجها وفى أسلوب معالجته لها . وقـد أثرت فلسفة التسامى Transcendentalism التى ظهرت فى عصره فيه تأثيرا كبيرا : وقد درس باعتناء زائد منهج(عمانوئيل كانت) الفلسفى ، ويظهر أنه لم يعترف به وحسب ، بل إنه اعتنق تعاليمه الرئيسية ، ولـكنه مع ذلك صاغها بأسلوبه الخاص لدرجة أنهـا أصبحت فلسفته الخاصة وخرجت عن كونهـا فلسفة (كانت) . وكثير ممن لا يعرفونه معرفة حقيقية يعتقدون بأن هذه التأملات لم تنفعه فى شئ . ولـكن شلر كان راضيا كل الرضى بفلسفته التى اعتنقها بعد أن صرف فى ذلك جهدا شاقا . وفى هذه الفلسفة — التى انسجمت مع شعره — تمكين لقوته الفطرية والخلقية . يقول شلر بخصوص ذلك مايلى : (أنا لا أنتظر من أعداء هذه الفلسفة الجديدة شيئا من التسامح ، كالذى أظهروه تجاه الفلسفات الأخرى ، التى لم يعرفوا عنها شيئا كما أنهم لم يعرفوا هذه ! لأن فلسفة كانت — فى قضاياها الإنسانية — لا تحتمل أى تسامح ، وهى تحمل صفة جـدية لا تفسح مجالا لأية تسوية . وهذا — فى نظرى — يشرفها لأنهـا لا تحتمل العبث بالحق . إن هذه الفلسفة لا تناقش بمجرد هز الرأس . فى حقل البحث الصريح الواضح الذى يمكن التوصل إليه تبنى هذه الفلسفة منهجها — فهى لا تتظلل بأى ظل — ولا تبحث عن أية تحفظات تتستر بهـا ، وهى تحب أن تعامل كما تعـامل هى جيرانها ، وهذا يجعلنا نغتفر لها عـدم اعتدادها بغير البراهين . ولن أخشى من التفكير فى أن قانون التغيير — الذى يأتى على كل شئ — إلهى سيسرى على هذه الفلسفة أيضا ، وسينال منها منالا شديداً ، إلا أنه سيحافظ على جوهرها ، لأن النوع البشرى منذ بزوغ شمس العقل اعترف بمثل هذه المبادئ الأولية وعمل بها (٧)

إن انجازات شلر الفلسفية تخص قضايا الفن والأدب بصورة رئيسية ، وهى لا تخلو من نظرات مهمة فى مجالى التأمل : لا بل إن الفن نفسه — كما تصوره — يستند على أساس متين من مصالح الإنسان وهو بنفسه (أى الفن) يتضمن تسوية انسجامية بين هـذه المصالح . لقد أخـذنا على أنفسنا من مدة أن نقدم إلى قرائنا خلاصة (الرسائل الجمالية) ، هذه النتف المتماسكة العميقة من الجدول الذى قلما نجد مثيلا لها ، وبهذه الواسطة نتمكن من دراسة الصفة البارزة لشلر كفيلسوف ، وفى الوقت نفسه فالفقرتان القصيرتان الآتيتان ستقدمان دليلا على وجهة نظره فى جميع القضايا الفلسفية بدون الاحتياج إلى أى تفسير أو إيضاح . ليتكلم شلر فى هاتين الفقرتين عن (وليم مايستر) و (اعترافات القديس الجميل) التى تحتل الكتاب السادس من ذلك المؤلف فيقول : (إن الانتقـال من الأديان البدائيـة إلى الديانة المسيحية بتجربة الخطيئة مفهوم بصورة جيدة — إننى فى الواقع — أجد فى النظام المسيحى أصول الفكرة السامية ، ولكن الصور المشوهة المختلفة لهذا النظام فى الحياة الواقعية ، تجعل هذه الفكرة مؤذية ووضيعة، لأنها تمثل تمثيلا سيئا الفكرة الأصيلة التى تبناها واضع المسيحية الأولى . وإذا أنت درست الصفة البارزة فى المسيحية تجد أن مايميزها عن الأديان التوحيدية الأخرى هو قضاؤها على (القانون) والتوكيد الكانتى (٨) ، وبدلا من ذلك تسمى المسيحية لتحقيق الميول الحرة ؛ وهكذا تراها فى شكلها الفنى تمثل الجمال الخلقى أو تمجيد ماهو مقدس ، ولهذا المعنى يمكننا أن نعتبرها الدين الجمالى الوحيـد (المبعد عن التشريعات السياسيـة والأنظمة الدنيوية)

(٦) الراسلات . ج (١)

(٧) التوكيد على الواجب والتقيد به

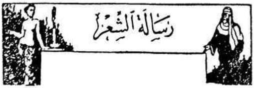
(٨) المراسلات ج (٢)

وعلى هذا الأساس يمكن تفسير نجاح هذا الدين فى الطبائع النسوية (والدليل الواضح على ذلك هو أن أول مبشر بهذا الدين كانت امرأة : هى مريم المجدلية ، التى نسج المسيحيون حولها هالة من القداسة ووضعوها فى منزلة الأصفياء والأولياء المختارين من قبل السيد المسيح) . ويقول شلر مستطردا (ولكن بصورة جدية ، وهل يمكنك أن تجد إنسانا مثقفا بدون أن يلتجئ فى ساعاته الحرجة إلى الفلسفة ؟ أما أنا فإننى مقتنع تماما ، بأنه إن وجد إنسان من هذا النوع فهو مجبر على مسايرة الاتجاه الجمالى ، لأن المزاج الجمالى لا يحتاج إلى الاقتناع الذى هو وليد التأمل والتفكير ، ولا يحتاج إلى العقل المجرد إلا متى اصطدمت الإحساسات الطبيعية بالقانون الأخلاقى . والطبيعة الشاعرية السليمة لا تحتاج إلى مثل هذا القانون الصلب ، أو حتى حقوق الإنسان أو الميتافيزيقية السياسية كما تدعوها أنت (يقصد جوته) ، ويمكنك أن تضيف إلى ذلك أيضا ، بأن هذه الطبيعة لا تحتاج إلى الآلهة ولا إلى الخلود ، وما هذه النقاط الثلاث (وهى الآلهة والخلود والقانون الأخلاقى) التى تدور حولها كل المناقشات والتأملات الفلسفية بأكثر من تسلية لمثل هذه الطبيعة الشاعرية وهى لهذا السبب ليست أموراً ضرورية مطلقا) .

وهذه الفقرة الأخيرة غريبة فى مدلولها ، لأنها إن كانت صحيحة فهى تعتبر طبيعة شلر بالذات (طبيعة شاعرية غير سليمة) لأننا نجد هذه النقط الثلاث بارزة فى مؤلفاته وبحوثه — وقبل أن ننهى موضوعنا هذا علينا ألا ننسى ملاحظة لها علاقة وثيقة بموضوعنا ، وهذه الملاحظة تتلخص فى السؤال اللح الذى يوجهه كل من درس الآداب الألمانية وهو: أيهما أشعر جوته أو شلر؟ ولنا إذا سمح لنا أن نقول : إن هذا السؤال تافه وغير ذى موضوع لسببين : فأولا أن شلر وجوته يختلفان فى مواهبهما اختلافا كليا سواء كان ذلك فى مساعيهما أو فى المجالات الثقافية العامة . ثانيا : إذا كان السؤال يعنى — على العموم — المفاضلة بينهما فى عظم الشأن وأهمية كل منهما بالنسبة للأدب الألمانى أو الآداب العالمية ، فجواب هذا السؤال واضح كل الوضوح وهو لا يحتاج إلى تفسير مسهب ، ولو وضعنا هذا السؤال أمام شلر الحيى الخجول لانتفض متعجبا من ذلك

ولم يعرف أحد خيرا منه بأن جوته ولد شاعراً ، بينما هو أصبح كذلك بتأثير المحيط (والفرق شاسع بين الطبع والتطبع) . فكما كان الأول بدهيا بروحه وانطباعاته وإيقاعه الجميل ، كان الثانى مدرسيا ، وعامل التكلف بين ثمنه . زد على ذلك بأن جوته عاش حتى أكمل رسالته الشعرية بعد أن صقلت موهبته وتهذبت ألفاظه حتى بلغت مبلغ الكمال فى الإيقاع الموسيقى وفى الأداء الشاعرى ، بينما نرى الثانى تخطفه يد المنون وهو لم يزل غض الإهاب شابا فى روعة الرجولة وازدهارها : ولهذا السبب أثر بالغ فى تقصيره عن اللحاق بجوته وعذره واضح جلى

يوسف عبد المسيح ثروت



رباعيات

للدكتور عبد الوهاب عزام

لا يبالى الأخيار فى هذه الأر   ض بباغ ومفتر وحسود
لو يبالون لم يشقوا طريقا   بين هذى الآفات نحو الخلود

* * *

علماء الزمان فى درجات   لا من العلم بل من الأموال
إنما هـذه الوظائف أثمان   بهـا قومت قدور الرجال

* * *

قد تهاوى إلى الحضيض رجال   وخزوا يوم حوسبوا بالظواهر
ليت شعرى فما يكون رجال ؟   ما يكونون «يوم تبلى السرائر»

* * *

ينفضح الناس حين يكشف سر   عن عيوب وخلفه أستار
كيف لو تكشف القلوب عن الخبء   وتبلى الغيوب والأسرار

* * *

فى جهاد الحياة خسر وربح   وصروف ما بين سعد ونحس
لكن الشهم من يقول بحق   «صنت نفسى عما يدنس نفسى»
قلت: ماذا الهيام فى شهوات ؟   قيل : هذى حياتنا فى الصميم
قلت : زيدوا حياة عقل وروح   إن صدقتم ، إلى حياة الجسوم

* * *

كلمات بقين لى من صديق   من دموع تألقت وشجون
لهف نفسى يبقى الحنين على الطرس   وتفنى القلوب ذات الحنين

* * *

زهرات قطفن منذ سنينا   ناضرات عواطر قد بقينا
لم تزدها الأيام إلا ازدهـارا   وغصون قطفن منها بكينا

* * *

ذلك الخط ناضر كالزهور   لم يغير شـذاه مر الدهور
يملأ الأذن والفؤاد حديثا   أين أين الصديق رب السطور

* * *

قال نسر محلق لأخـيه :   أى سر فى خلقة الإنسان
ملأ البر والبحار فسادا   ثم وافى مدمرا فى العنان

عبد الوهاب عزام

من الشعر الوطنى

بين عهدين

للأستاذ محمد عثمان الصمدى

صار هزل الأمور فى مصر جدا   رب هيئ لها سدادا ورشدا
لم تزل تعرك النوائب حتى   جعل الله للنوائب حـدا
قيض الله للظلوم رجالا   صدقوا مصر أن فى مصر جندا
يا لها لحظة تذبذبت الأقدار   فيها بالقوم نحسا وسعدا
لم تكن غير جولة إثر أخرى   جد فيها النضال أخذا وردا
ثم أجلت عن خلعه خلع نير   لم يجد حاملوه من ذاك بدا
لا تظنوا به الظنون وقولوا   : ظالم مهدوا له فاستبدا
كم أراد الخنا إليهم فألفى   كل شئ كما أراد معدا
وكم استلهموا فنون هواه   حسبة عنده ودينا يؤدى
طالما قربوا القرابين زلفى   منه واستنفدوا التسابيح حمدا
ما يبالون حين يدنون منه   نضب النيل أم جرى النيل شهدا
ليت قوما مصوا الدماء عناهم   أن يصح الجريح عرقا وجلدا
شد ما استنزفوا الدماء وأبقوا   بعدها فى الفؤاد جرحا ممدا(1)
أهدروا قوة البلاد فأرضوا   سيدين المحتل والمستبدا
ليس يعنيهمو من الشعب إلا   أن يسوسوه سادة وعبدى
جعلوه صفين يرقب كل   بأخيه ريب الزمان الأشدا
بئس ما أذكوا المداوة فيه   بين شقيه والخصام الألدا
ويمينا لم يؤثروا الحكم إلا   ليفيدوا جاها ومالا ومجدا
واسألوا الشعب كم أباحوا حماه   واستخفوا به عقوقا وجحدا

(1) الجرح الممد الذى ينضح بالمدة

سلبوه قوام كل حـــياة   كيف يحيا وما عن الخبز معدى
ولعمرى ما أعوز الخـبز شـــعبا
وهو يرجو التحرير إلا وأكدى (٢)

أى ولاة الأمور فيا بلونا   كم وأدتم من النـوابغ وأدا
ما غناء النبوغ إن ظل يسعى   ناشـــدا قوته دؤوبا مجدا
وإذا استأثر المعاش بجهدى   كله فالخمول لا شك أجدى
أى شعب يا قوم حقق مسعى   فى المعالى ولم يكن مستمدا
إن أقوى الشعوب فى الأرض شعب
عاش عيش الـــكريم فرداً ففرداً

لم يفرق أبنـاءه حاكموه   وفق ما يشتهون مولى وعبدا
وليقل لى المرتاب ماذا استردوا   من حقوق أحرى بأن تستردا
أم تراهم أجلوا عن النيل رهطا   كم جهدنا أن يطردوا منه طردا
ودع الغاصبين يا صاح وانظر   كيف عاثوا فى الحكم حلا وعقدا
يتتنون الدعام حتى إذا ما   لم ترقهم أنحوا عليهن هـدا
آية الرأى عندهم أن يدوروا   حيث دار الدخيل جورا وقصدا
ما لقطب داروا عليه زمانا   لم يدع برهة ولم يخل عهـدا
نزلوا عند أمره واســـتمدوا   منه عونا هيهات أن يستمدا
وهو فيا يدور يمنى ويسرى   لم يرغ غير وكده ذاك وكدا (٣)
قد تواصوا بالبغى حتى حسبنا   أن نص الدستور ينميه بندا
فتراهم يجرون جرى المذاكى   فى المخازى حشدا يسابق حشدا
ليت من يستدر ضرعا حراما   كلأ الشـاة مشفقا أن تندا
أخمدوا جذوة النفوس فبعدا   لألاء القوام بالأمر بعـدا
واستذلوا السواد بالبؤس حتى   بايعوهم أن ينفد العمر كدا

***

أيهـذا اللواء إياك نعنى   قد وجدنا فيك اللواء المفدى
إنما أنت يا نجيب شعـــاع   تجتويه العيون إن كن رمـدا
أى زعيم البلاد نحن انضوينا   تحت ظل اللواء لله جنـدا
أنت أنت الزعيم ما دمت تسمى   هكذا فى البلاد لم تأل جهـدا
قد نبذت الإقطاع فانبذ بنيه   لا تدع والدا ولا تبق ولدا (٤)

(٢) أكدى أى خاب وأخفق
(٣) لم يرغ لم يحاول
(٤) الولد جمع ولد

يا له ماردا قضى وتراه   نابضا فى ذيوله ليس يهـدا
فى شرايينه دماء سـيبقى   رغم فرط البلى مغيظا مغدا (٥)
وسم العصر بالتسـلط فانظر   كيف تخلى المد مما أعـدا
وأرى المرء ليس يبلغ سـؤلا   جل شأنا أو دق حتى يجدا
وبحسب الراقين أن قد أعدوا   رقيـة تصرع الطواغيت لدا

***

ساسة النيل إن بالنيل شوقا   لزوال الفساد عنه ووجـدا
فسد الأمر كله فى حمانا   ليت شعرى هل يعقب الجزر مدا
وثب الجيش حيث توعد مصر   حقها فى المعاش خفضا ورغدا
فقوانين ماتنى إثر أخرى   تعد الخفض أو تنى فيه وعدا
ولعل القانون ليس بمجد   وحده فى البلاد مالم تعدا (٦)
فأعدوا الحمى لما سوف يلقى   بعد حين يمرد على الوعى مردا (٧)
إن أعصى الأشياء ما فى السجايا   من عناد أدى بها حيث أدى

***

صار هزل الأمور فى مصر جدا   رب هيء لها سدادا ورشـدا
واجنب الشعب أن يضل هداه   واجمل الجيش واقفا منه ردا

محمد عثمان الصمدي

(٥) المغيظ : بقية الحياة . والمغد المنتفخ غضبا وكبرا
(٦) تعد من الإعداد
(٧) يمرد يتدرب ويتمرن

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الموسم الثقافي

ومرة أخرى يفتتح « طه حسين » الموسم الثقافي لنادى الخريجين المصرى بمحاضرة عن « الثقافة الوطنية ، والثقافة العالمية »

ولنا قبل أن نلخص المحاضرة عتاب على نادى الخريجين الذى يرأسه الدكتور العميد ، لأنه لم يوفر للعدد الضخم الذى حضر ليسمع « طه حسين » الأماكن .. وإذا كان النادى لا يتسع ، فقد كان فى الإمكان أن يختار أى قاعة من القاعات الواسعة : نقابة الصحفيين ، أو يورت ، أو الشبان المسلمين . .

لقد ذهبنا قبل موعد المحاضرة بنصف ساعة فلم نجد مكانا واضطررنا أن نقف فى تلك الطرقة العتيقة محشورين على وجه غاية فى القسوة ، فترة تزيد على ساعة ونصف ساعة ..

وبعد . فهل أستطيع أن أرسم خطوطا عامة لهذه المحاضرة الممتعة ؟ أرجو . .

تحدث الدكتور عن الثقافة ، وقال إنها ليست شيئا يمكن تحديده ، وإنها وسيلة من وسائل التقارب بين الناس والأجناس ، وإنها الأداة الوحيدة لمنع الحرب ونشر السلم . .

ورسم العميد صورة للمثقف فى العصر القديم ، قبل الإسلام وبعد الإسلام ، وكيف كان الشاعر يسعى من باديته إلى الحاضرة ، يحمل قصيدة يمتدح بها الخليفة أو الأمير ، فإذا وصل إلى الحاضرة أعجبته ورضى عنها فاستقر بها طويلا .. وأفاد من اتصاله بالناس فى خلال رحلته الطويلة وفى خلال مقامه فى الحاضرة ، فإذا عاد بعد ذلك إلى البادية ، عاد ومعه ثقافة واسعة جديدة ..

وقال الدكتور طه حسين إنه ليس هناك ثقافة وطنية وثقافة عالمية ، وإن التفريق بينهما خطأ واضح ، إذ أن الثقافة عالمية قطعا ، وإنه لا سبيل لأمة الآن أن تعيش منفصلة عن غيرها ، ولا أن يعيش شعب على ثقافته الوطنية وحدها . . وإنه لو عاش المصريون على الثقافة العربية وحدها ، لعاشوا بعيدا جدا عن الحياة الحاضرة

وليست مصر وحدها هى التى تستطيع أن تتخلف عن الثقافة العالمية ، بل إن الأدب الفرنسى والأدباء الفرنسيين ، لا يستطيعون أن يقولوا إنهم عاشوا دون أن يقرأوا الأدب الإنجليزى أو الألمانى أو الروسى أو اليونانى . . وكذلك الشأن فى الآداب الأخرى

وعاد الدكتور بعد ذلك فقال : غير أن الأدب فى كل وطن يصور البيئة وروحها ، ذلك أن الثقافة بالرغم من عالميتها فإنها تتأقلم وتتبلور فى صور النفوس التى تكتبها . .

ورسم الدكتور صورة المثقف . فقال إنه ليس ذلك الذى يحفظ النصوص ويلقيها فى كل مناسبة أو غير مناسبة ، إنما هو القادر على أن يهضم كل ما يقرأ من فنون الأدب والثقافة ، ويحولها فى كيانه إلى قوة توجه وتصنع فنونا جديدة

وقال إن المثقف فى عصرنا الحديث لا يستطيع أن يعد نفسه مثقفا ، إلا إذا ألم إلماما وافيا بكل الآثار التى تنتجها القرائح فى عصره . . وأن يواصل دائما هذه القراءة ، ويدأب على الدرس الدائم !

وفى نهاية المحاضرة تحدث « طه حسين » عن التعليم ، وهاجم الرأى القائل بالتحفظ فى إذاعته وتيسيره للناس جميعا ، وحمل على نظرية التعليم للتوظف ، هـذه النظرية التى قامت فى العهد البائد ويجب أن يقضى عليها العهد الجديد ، واستقبل المستمعون جملته هذه بالإعجاب والتصفيق . .

ومع الأسف فإن الصحف اليومية لم تذكر شيئا عن هذه العاصفة الضخمة التى أثارها عميد الأدب !

الأدب النسوى والشعر المنثور

فى رسالة مطولة وردت إلينا من الكاتبة الثائرة «ليلى مسلم»

تقول : « إن حملتك على الأدب النسوى يا سيدى قاسية ، إنك تنكر أن هناك أدبا نسويا ، وقد رددت هذا أكثر من مرة وقلت إنه ليس هناك شاعرات ..

ووقفت من الشعر المنثور الذى كتبته «هند سلامة» موقف المعارضة .. لست أدرى إن كان ذلك منصبا على اللون الأدبى نفسه أم على المعانى التى تضمنها الشعر.. إننى أرسل إليك طىهذا بعض القصائد والقصص وأنا متحدية وواثقة من أنك ستغير رأيك فى الأدب النسوى والشعر المنثور

إن هناك كاتبات يا سيدى يكتبن لأنفسهن ، ويعشن فى برجهن العاجى ليقرأن .. ويكتبن .. إنهن — وأنا منهن — يعرفن أن الصحف لا تعرف غير الوجوه ، ولا تعرف غير اللواتى يتصلن بهذا الكاتب أو ذاك

أما أولئك اللاتى ينتجن فى صمت ، فهن لا يردن أن يعرفهن أحد .. غير أنه عز على أن تقول إنه ليس هناك أدب نسوى ، ولذلك أرسلت لك هذه الصورة من كتاباتى »

والحق أننى أعجبت بهذه الرسالة لأن كاتبتها مركزة الأسلوب، ولأن القطع التى أرسلتها إلى توحى بالثقة بأننا سنطالع فجر الأدب النسوى الجديد .. سنطالعه على يد أمثال ليلى مسلم .. وغيرها من الشابات المجددات ، اللواتى لم تتألق أسماؤهن بعد ..

وأسارع فأعرض قطعة من شعر « ليلى مسلم » المنثور :

بينى وبينك .. خفى مجهول

سمه عبادة ، أو سمه حنينا

سمه ما شئت مما تعرفه وحدك ، ويخفى على من دونك

إنه موجود ، باق لا يزول

يسرى فجأة فى بدنى فيرتجف له ..

ثم يدب على أرضى .. فأقف فى ثبات

.. أقف أمامك ، وقفة موسى عند الطور الأمين

ويجرى بينك وبينى عتاب .. حار

وتنتصر أنت ، وأتوارى أنا خجلا ..

ويحزنك أمرى ..

فتبعث إلى ..

تبعث إلى من ذلك الينبوع الذى لا يجف ، ينبوعك !

وترطب جفاف روحى بآياتك الحسان

ولكنى من فرط خجلى لا أستجيب ..

فتنتظرنى قليلا .. ولا تهجرنى ..

وتفتش عنى فى كل مكان ..

فلا تترفع عن ارتياده ، مهما كان ، لتهمس فى أذنى : عودى يا ضالة !

عندك المؤمنون الأبرار .. راكعين ، ساجدين

.. ولكنك لا تلبث أن تجيب دعوة الداعى .. إذ دعاك

.. فأنا أدعوك ..

* * *

وحق على أن أنشر هذا الشعر المنثور .. فهو غاية فى السمو والنقاء ..

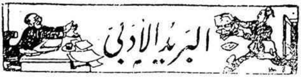
إنه يرسم صورة لنفس « صوفية » تحلق وتصعد فى السماء . فارق بعيد بين هذا اللون « الروحى » ، وبين ذلك اللون « النفسى » الذى عارضناه ، وإن كنا نحتفظ برأينا فى الشعر المنثور بصفة عامة

« هند سلامة » تصور الحياة وتغوص فى معالمها .. وتجرى فى تيارها . « وليلى مسلم » تسمو وتتحرر ، وتتجه إلى الله ، وترسم النفس الإنسانية وهى تتعالى وتندفع إلى الخلود

وبعد فكلمة أهمس بها فى أذن كاتبتنا الثائرة . نحن ننزه أقلامنا عن الغرض من وراء النقد ، ونجدنا على استعداد لأن نغير رأينا فى الأدب النسوى ، إذا برزت فنون من الأدب جديدة يمكن أن تملأ هذا الفراغ

إننا ياسيدتى ننحنى للأدب الرفيع .. ونحيى الروح الجديد .. و « الرسالة » يا سيدتى لا تعرف الوجوه ، ولكنها تعرف الفن الخالص .. فقدمى إليها إنتاجك ، وسترين أنها تحفل به ما دام متسقا مع مستواها وروحها

أنور الجندى



اقتراح بانشاء «مجمع فكرى» بمناسبة إنشاء وزارة الارشاد

لعل أمة من الأمم سواء فى التاريخ القديم أو الحديث لم تكن أحوج من مصر فى يومها الحاضر إلى التوجيه والإرشاد القوميين — وليس ازدياد حاجتها لذلك نتيجة عيب أو نقص . ولكن لكثرة ما توارثته من عناصر الحضارة واختلافها الشديد مع كثرتها فى الوسائل والغايات؛ ولأنها وهى وسط بين أمم مختلفة المذاهب متباينة المشارب قد تشعبت فيها وجوه الرأى فى حديثها مع تهيئها بحكم اختلاف الوراثات لهذا التشعب واستعدادها لمرونتها إلى الأخذ من كل شئ بطرف

فى مصر لا يزال أثر من وجوه النظر التركية إلى جانب آثار عميقة من التقاليد العربية وأخرى من العادات الفرعونية . وهى فى اليوم الحاضر ملتقى ثقافات غربية متنوعة العناصر ، وأخرى شرقية مختلفة الأصول . وبعض هذا وذاك قد تلقته من الآباء والأمهات والمصلحين ، والبعض مدسوس عليها من المستعمرين والغاصبين والحكام الطاغين

وفى مصر دوامة من آراء وأحاسيس ومشاعر ، ولقد بذلت فى العصور الأخيرة محاولات تلقائية لا نقول من الزعماء ولكن دفع إليها الزعماء من إحساس باطن فى الأمة إلى وجوب توحيد الهدف وتوحيد الوسائل إليه . ولقد استجاب إلى هذا الإحساس من أصاخوا إلى صوته فى الضمائر أو سموه من أعالى المنابر أو من آثار الأقلام والمحابر . ولكن الاستجابة لم تكن شاملة ولا كاملة لانتشار الأمية ولأن الزعماء كانوا أحرص على الظهور بشخصياتهم منهم على بث المبادئ فى البيئة

صيحة النهضة الحاضرة بالاتحاد والنظام والعمل إنما بدأت بما يجب البدء به نتيجة إحساس عميق بالافتقار إليه . وما احتاجت مصر إلى هذه الصرخة المدوية إلا لتعدد آثار الثقافات . واختلاف ألوان الحضارات، وإن شئنا الإنصاف فلتعدد ألوان المطامع واختلاف آثار المظالم أيضا

أدبنا العربى تراث عظيم الضخامة ولئن لم يرتو منه الكل بسبب انتشار الأمية فلقد تأثر به الكل كما تتأثر الأرض بالمياه الجوفية . وفيه من التناقضات لطول عهده ولأنه وإن كان أدب لغة واحدة فهو جماع آداب لأمم مختلفة فى عصور متباينة تحت ظروف لا تكاد تتشابه . ولم ينقد هذا الأدب الطويل العريض نقدا مميزا

وأدب الأمم الأخرى المعاصرة نشأ فى عهد أقرب وفى بيئات أكثر اندماجا وظروف أكثر تشابها فلم تحتج كحاجتنا إلى التوجيه والإرشاد

وابتعدت الأمم الأخرى فى عصورها القريبة عن محنة الاستعمار وتعدد المستعمرين واختلاف آثارهم — كل ذلك كون لكل دولة شخصية أكثر تماسكا وأكبر استقلالا . وتلك مزية فيهم والمزية كما يقولون لاتقتضى الأفضلية ؛ ففينا مقابل هذا مزايا من عمق الإيمان . ومن الصبر والاطمئنان . ومن المرونة والاستعداد للتطور. ولكننا بما لنا وعلينا فى حاجة أكبر إلى البناء أهدافا وإلى البناء وسائل . والتخلى عن آراء وهجر عادات ومحاربة تقاليد .والاندماج بعد ذلك فى موكب واحد نحو هدف واحد

ذلك كان إحساس الأمة الذى عبرت عنه بصيحتها فى فجر نهضتها إذ هتف قلوبها على ألسنة قادتها بالاتحاد والنظام والعمل

ولقد كان إنشاء وزارة جديدة للدعوة والإرشاد وسيلة لتحقيق هذا الاتحاد ، لكنه ليس بمأمون مع ذلك أن تتشعب وتتفرع وتتداح وتتنساح فكرة تبدو اليوم موحدة وتجرى عليها سنة الخلق من توالد وتكاثر

وليست الوزارات بالعمل الذى ينشأ من أجل ليلة وضحاها ، وإنما هى للغد البعيد وما يليه . وضماننا للتوحيد فى كل ماتقدم مما اختلف على طول العصور يجمل أن توضح البرامج الواسعة النطاق — ما كان منها صالحا للتنفيذ اليوم وما كان منها منظا للآمال والغايات البعيدة

وسبيل ذلك التأليف بين رجال الفكر الدارسين ورجال الفن الحساسين . ونحسب هذا لا يكفل إلا بإنشاء الأكاديمية المصرية التى طال انتظارها (مجمع فكرى)

ومجمع اللغة العربية والمجمع العلمى لم يكونا إلا خطوتين فى سبيل هذه الغاية . ووزارة الإرشاد خطوة ثالثة . وإنما ينظم هذه الخطوات مجمع من رجال الفكر يكون كل رجاله من المؤلفين والدارسين فهؤلاء أكفل لحياة الوزارة الجديدة من مديرين ووكلاء وموظفين . إن يكونوا اليوم بحكم جدة النهضة من لامس

أغراضها فإنهم فى الغد لن يكونوا إلا موظفين كسائر الموظفين

نحن ندعو إلى مجمع من مجامع الخالدين ليكون على رأس المصالح التى ضمتها الوزارة الجديدة

الإسكندرية **أحمد عوضه**

الأزهر . . والثورة

لقد أحدثت الثورة المباركة انقلابا خطيرا فى كل مرافق الدولة ، وخطت خطوات موفقة فى سبيل الإصلاح . وقطعت شوطا بعيدا فى سبيل التطهير وقطع دابر المفسدين ، وكان لهذا الانقلاب الخطير أثر فى نفوس الشعب كافة ، وما دامت الثورة قد أحدثت هذا الانقلاب العظيم فمالنا نرى الأزهر لا يزال متمسكا بجموده ، متشبثا بالماضى العقيم ؟ إن الأزهر يحتاج إلى انقلاب عام شامل فى كل ناحية من نواحيه وفى كل شأن من شؤونه

أجل : فإن الكتب الأزهرية التى ألفت فى عهود غابرة وبأسلوب عقيم — لا يتفق مع عقول الطلاب — لا زالت هى التى تدرس إلى اليوم ، وإنها لمحشوة بالأساليب المعقدة والمسائل التافهة ، ومع ذلك فهى بعيدة كل البعد عن حياتنا العامة . . فالطالب الأزهرى يقضى زهرة شبابه بين هذه الكتب البالية ثم يخرج بعد أن نبت الشيب فى رأسه ليرى الحياة حوله لا تتفق وهذا الجمود الذى يتصف به الأزهر ، إن الحياة تسير والنظم تتغير والأساليب البالية تزول، وذلك حسب سنة التطور ولكن التطور لم يدخل الأزهر بعد ، لذلك يحتم الأزهر على الطالب الذى يريد الالتحاق به أن يكون حافظا للقرآن كله ، وقد كان هذا الشرط يجوز ويكون مقبولا منذ ربع قرن مضى .. أما الآن وقد انتشرت المدارس الابتدائية فى كل قرية فلم يعد هذا الشرط مقبولا أبدا ، وغير ذلك يجب أن تدرس إحدى اللغات الأجنبية فى معاهد الأزهر ، ويجب أن يوحد زى الطلبة فورا ، فقد أصبحت مسألة الزى هذه مهزلة المهازل ! فهناك من يرتدى الزى الأزهرى ومن يرتدى الزى الأفرنجى ومن يكتفى بالجلباب أو (البيجاما) . كل هذه أمور من شأنها أن تحتل المكان الأول من اهتمام المسئولين فى الأزهر، وذلك حتى يتجاوب الأزهر مع روح العهد الجديد، وهى أمور كلها تجيش فى نفس كل طالب أزهرى وتعتمل فى صدره وتخالج وجدانه من آن لآخر أردت أن أضعها نصب أعين ولاة الأمور فى الأزهر على سبيل الذكرى . فالذكرى تنفع المؤمنين

محمود حمدى زقزوق

حضرة

قرأت كلمة لأحد الباحثين قال فيها إن (حضرة) بمعناها الحالى كلمة تركية دخيلة وهذا ليس صحيحا وإليك النصوص اللغوية :

جاء فى شرح القاموس ما نصه : حضرة الرجل قربه وفناؤه ، وفى حديث عمرو بن سلمة الجرمى (كنا بحضرة ماء) أى عنده ، وكلمته بحضرة فلان أى بمشهد منه ، قال شيخنا وأصل الحضرة مصدر بمعنى الحضور كما صرحوا به ثم تجوزوا به تجوزاً مشهورا إلى مكان الحضور نفسه ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس كقول الكتاب أهل الترسل والإنشاء . الحضرة العالية تأمر بكذا ، والمقام ونحوه — وهو اصطلاح أهل الترسل كما أشار إليه الشهاب فى مواضع من شرح الشفاء اهـ

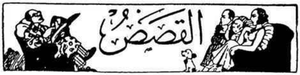
وجاء فى (صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٩٨) فى مبحث الألقاب :

الثامن : الحضرة والمراد بها اللقب ... وهى من الألقاب القديمة التى كانت تستعمل فى مكاتبات الخلفاء وكان يقال فيها الحضرة العالية والحضرة السامية وتستعمل الآن فى المكاتبات الصادرة من الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك ويقال فيها الحضرة الشريفة العالية والحضرة الكريمة العالية والحضرة العلية بحسب ما تقتضيه الحال الخ . . وكثير من كتاب الزمان يظنون أن هذه الألقاب الأصول أو أكثرها أحدثها القاضى شهاب الدين ابن فضل الله وليس كذلك . . الخ . وجاء فى « محيط المحيط » والمولدون (المحدثون والمتأخرون) يستعملون الجناب لأكابر الناس بمعنى الحضرة فيقولون : نهى إلى جنابك مثلا أى نلقى كلامنا بين يديك وذلك فى الأصل؛ ثم توسعوا حتى جعلوا الجناب لغواً يراد به مجرد التعظيم، فيقولون هذا غلام جنابك أى غلامك اهـ.

من هذا يتبين أن (حضرة) عربية صحيحة ولكنها تطورت ، والاستعمالات المجازية صحيحة بل فصيحة

على حسن هلالى

بالمجمع اللغوى



الزوجة الحسناء

للكاتب النمسوى هيرماد بار

... ولاقيت صديقى بول دوران بعد غياب طويل فاندفعت إليه فى شوق قائلا : « كيف حالك ياعزيزى ؟ لقد احتجبت عنا طويلا ، أفتزوجت حقا ؟ لم يكن ليضطرب فى خيال واحد من رفاقك أنك تتزوج فتتنزل عن بعض مافيك من عبث ومرح ولكن المرأة ... المرأة يابول ! »

وابتسم بول فى رقة وأخذ بذراعى يجرنى إليه؛ أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه صحابته المجون والعبث ؟ إن هذا خيال ما يستطيع الإنسان أن يثق به !

وتناول سيكارة فى هدوء ووقار ، وحدجته بطرف عينى فآلمنى أن أرى فيه الرزانة والسكون ! لا ضير ، فهو زوج ! ثم ... ثم قلت : « لقد أبدلت طبعا بطبع يابول بعد أن تزوجت... تزوجت من فتاة جميلة » فترك ذراعى فى غضب وهو يقول : « دع عنك المزاح وإلا كان هذا فراق بينى وبينك ! » وأزعجنى حديثه فاندفعت أسأل : « ماذا ، ماذا ياصديق ؟ »

قال : « حقا ، إنها حسناء فاتنة ... ولعمرى إن البلاء فى الزوجة الحسناء ، فأنا أدفع الثمن غاليا ! نعم إننى أحبها ولكن أتعلم مايثقل زوج المرأة الحسناء ؟ إذا غاب عنك هذا فلا تتحدث عن شئ بعده . إن الزواج من حسناء يتطلب صبراً كصبر أيوب » ثم يصفر صفيرا مزعجا وفى وجهه العبوس والتجهم ؛ وخيل إلى أننى سموت إلى الغاية متى يريد فقلت : « أفرأيت يابول ، أن خطاياك تنحدر إليك من صبب ! هذا هو الجزاء ! إن الغيرة تكاد تعصف بك » ونظر إلى فى دهشة وهو يقول : « يا للغباء ! أى غيرة ؟ فيم تفكر ؟ وأسفت على أن رميته بتهمة هو منها براء ، فقلت : « أفلا تستشعر الغيرة ؟ » قال : « لا . لا . إن الزوجة الحسناء هى خير ما يتمنى المرء ما لم يستعبده جمالها » قلت : « لقد قصر عقلى عن أن أستشف ماتريد » قال : « سأضرب لك الأمثال لأكشف لك من بعض ماعمى عليك »

وبدا لى أنه ينفس عن كربته حين ينشر على عينى أمره ، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه ، فتعلق بصرى به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشعلها وهو يقول :

إن النشوة التى سيطرت على — يوم زواجنا — كادت تستلبنى عقلى . لقد انطلقت إلى ميونيخ برفقة زوجتى ، وخيالى يصور لى أننا نستطيع أن نجول فى أنحاء المدينة فى لذة وسعادة ؛ نزور معا بعض أصدقائى ثم نطير إلى مروج بافاريا ننعم بالخلوة ، ونقطف الثمرة الحلوة . ووجدت السعادة فى ميونيخ ، وعلى حين فجأة بدأ القلق يضطرب فى ناظريها ، فجلست إليها أستطلع الخبر ، فقالت : « لا شئ ! إننى أرى الجمال هنا ، ولكن ... ولكننى أرى فى الناس غلظة وجفاء ! » وحدثتنى نفسى : « يالله ! لاريب أن فى سكان ميونيخ البطء والهدوء ، أما الغلظة والجفاء ... ! » واندفعت هى فى حديثها : « حقا ، إن فيهم غلظة وجفاء ! إن المرء ليضرب فى الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنسانا واحدا يرفع بصره فيحدق فى الآخر . هذه هى الغلظة التى رأيتها فيهم »

أفرأيت يا صديقى ؟ لقد زلت زوجتى ، فهى تريد الشوارع تموج بالناس بين معجب بها وعاشق لها ، وهى لا تجد بغيتها فى ميونيخ . لعلك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة ، ولكنك ستجد فيما أقص عليك متعة وسلوة

وفى الصباح التالى انطلقت أجلس فى ندى مكسمليان أنتظر زوجتى لأصحبها إلى المعرض . لقد تركتها فى الفندق ترتدى ملابسها وتتزين . ولبثت طويلا أنتظرها . ودقت الساعة عشرا وأنا جالس إلى نضد أردد بصرى بين المارة وأحدق فى دار الأوبرا وهى قبالتى ؛ وابتدأ الناس يتصدعون عن المكان والندل متكئون إلى الجدار فى كسل وفتور . وخلا المكان إلا من شرذمة من الطلبة يتحسون الجعة ويلعبون ؛ وهدأ المكان إلا من بعض كلمات تنفرج عنها شفاه الطلبة بين الحين والحين ؛ وبذر الانتظار فى نفسى غراس القلق والضيق ... ثم جاءت عند الظهر ... جاءت ترف رفيفا جميلا ، حسناء جذابة ، فاتنة خلابة ، تسير الهوينى فى خيلاء وصعر ، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ... ومالت إلى النادلة تسألها ثم دلفت إلى فى أناة وتؤدة ، وحين صارت بإزاء الطلبة

تركت مظلتها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة في شغل

وسألتها عن بعض ماتحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تعر سؤالي التفاتة وراحت تقول : « أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشباك فهناك في الشارع وعلى جدار الملهى أشياء تبعث في النفس الضيق والملل .. خير لنا أن نتنحى عن هذا المكان . ثم انطلقت تختار نضدا إلى جوار الطلبة ؛ وحين سحبت إليها كرسيا هزت الآخر فانتثر ماعليه من صحف فتناولتها والطلبة في لهوهم ما ينظرون . واستقر بنا المقام فسألتها مرة أخرى عما تتطلب من طعام ، والشوق يدفعني إلى المرض ؛ غير أنها قالت في تؤدة وهي تضع نظارتها على عينيها : « خبرني ، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملا سوى شرب الجعة ولعب الورق ؟ » وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسي السوء وأ. كفكف بين سطورها نزوة تضطرب في قلبي ، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رأيها في سهولة ، فاندفعت تتحدث إلي : « يالتعس آباء هؤلاء الطلبة ! إنهم يبذلون آخر فلس في جيوبهم في سبيل أبنائهم وهم يبددون المال في المقاهي ! أين العلم وعصا المعلم ؟ » وانطويت عنها أردد بصري في سطور الصحيفة في إغضاء وإهمال ؛ ولكنها قالت : « أنظر إلى كؤوسهم ... إلى رؤوسهم ! ياعجبا ! إنهم كحمالي المحطة ! »

وتأجج الغضب في رأسي وأنا أهدئ من ثورتي خشية أن يتثلم شرفي في هذا الندى ، ثم قلت في هدوء : « لا ، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبعث في نفسك الضيق والضجر ، وأنا لا أجد بدا من أن ننطلق إلى شليرسى بعد ساعتين ، فهو مكان هادئ جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسي » ثم رجعنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديقي ... وبلغنا شليرسى عند الساعة الرابعة ، فألفيت صديقي لدى المحطة ينتظر . وانطلقنا جميعا إلى فندق جميل على شاطئ البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تتراءى أمامها البحيرة وما حولها من مباهج . وأضنى التعب زوجتي — أجاثا — فانطرحت في فراشها في سبات عميق ، أما أنا فقد انطلقت على دراجتي أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلي رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فإذا هي في الحديقة ، وفي يدها كتاب ما تستقر عيناها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الريفيين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتني روعة المكان فأحببت أن أقضي بعض وقتي هناك ؛ واندفعت إليها وهي جالسة في ثوبها الأبيض الحريري الجميل ، يتأرج العطر منها عبقا طيبا ؛ غير أنه لم يلتفت إليه أحد ، ووقفت بإزائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتي ؟ » فحدجتني بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هي شليرسى ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلذني » قلت : « إنه هادئ ... والبحيرة ... »

فقاطعتني « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادي الجميل ... » فقاطعتني ثانية : « والوادي الجميل غير صحي » قلت : « والجبال ... » فقاطعتني مرة أخرى : « والجبال ، أنا لا أحبها ! » ثم نظرت إلي في ازدراء وهي تقول : « والطعام ردئ الطهي والجعة البافارية تملأ الجسم شحما ، وأنا لا أريد أن أبدو عبلة كالفلاحات . إنني أبتغي حياة هادئة . لقد كان من الخير لي أن أسجن في دير ولا أتزوج من رجل لا يحبني » قلت : « لا بأس ، سنرحل إلى بلد آخر إن لم تجدي اللذة هنا » ، واضطرب قلبي ، وانتفض فؤادي ، واستولى علي الأسى والحزن ، فأنا لا أطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر في مكان جميل جذاب أجد فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أفعل وأجاثا ما تهدأ ولا تطمئن . لا ريب فهي تريد أن تنطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار في كل مكان ، لأنها إن افتقدت من يعجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سبيلا . تلك حقيقة مروعة ، فخير للانسان ألا يتزوج من حسناء !

وفي الصباح التالي بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادي ، إلى الغابة أمتع نظري وأشيعها جميعاً بنظرات الوداع ، فنظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع في خيالي . أما هي ... هي أجاثا فما تزال في مخدعها تنعم بالنوم الهادئ . إنني أتعشق هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولمع في خاطري رأي ، انفجرت له شفتاي عن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعدو في لهفة إلى صديقي دريتشر ،

وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهلية فى بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضا شاب فيه المرح والطرب والفكاهة والرأى النافذ والقريحة الوقادة ··· وهو صديق فيه الإخلاص والوفاء

وحين ضمنا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إننى أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تجادلنى فيه . إنك تعرف كل إنسان فى هذه الناحية ، أفتستطيع أن تمدنى بشاب أنيق وسيم ليمثل دور عاشق ؟ » قال فى دهشة « ليمثل ماذا ؟ » قلت « ليمثل دور عاشق . إننى أريده يجلس ويحدق ··· يحدق فى زوجتى ساعة من نهار . إن زوجتى قد اعتادت هذا النوع من الغزل فهى تفزع من كل مكان تفتقد فيه بغيتها . وسأدفع له ثلاث ماركات فى اليوم ثمناً لجلوسه فى الحديقة يردد بصره بين الفينة والفينة فى زوجتى ، وأدفع له ثمن شرابه » قال : « لا ضير ، لا ضير ··· ! » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفعل غير أنى لا أستطيع أن أستغنى عن واحد من زملائى ، ولكن ··· آه ، نعم ، إن فى الفرقة عاملا شابا فيه الأناقة والظرف و··· دع عنك هذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفى المساء تبتدئ العمل ··· » قلت « أشكرك يا صديقى . ولكن أفتطمئن إلى العامل ؟ » قال « وماذا يعنيك أنت ؟ إن المرأة لا تعنى بنظرات من يتعشقها بقدر ما تعنى بنظراتها هى ؛ وسترى ··· »

وعند المساء انطلقت إلى مكتب البريد وخلفت أجاتا وحدها فى الحديقة ··· وجاء العامل فى ثوب أنيق ··· جاء ينفذ أمر سيده فى براعة وإتقان ··· ورجمت أحدثها : « لقد ذهبت إلى المحطة ··· فراقنى أن نسافر على قطار الساعة العاشرة صباحاً » قالت فى لهفة : « ماذا ؟ ماذا تعنى ؟ أفلا تستطيع أن تستقر فى مكان ؟ إننى أميل إلى هذا المكان ، إلى البحيرة ··· » فقاطعتها قائلا : « ولكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجمال فيها » قلت : « والجبال من حولها » قالت « لاضير ، فأنشد الهواء العليل فى أعاليها . سنبقى هنا حيناً من الدهر فما يرضينى أن نضطرب فى أنحاء العالم ··· »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غاليا . ولا ريب أن أجاتا لن ترضى بهذا المكان بديلا ···

ك . ح

تفسير آية

بقية المنشور على صفحة ١٣٣٠

الناموس الخالد الذى لا يتبدل ولا يتحول . ومن ثم لم تعد إلا التفصيلات والتطبيقات ، التى يستقل بها العقل البشرى ، ولا تحتاج إلى رسالة إلهية أخرى

***

وبعد فلقد اقتتل أتباع « تلك الرسل » ولم يغن توحد طبيعتهم ، وتوحد طبيعة الرسالة التى تجمعهم ، عن اختلاف أتباعهم من بعدهم : حتى ليقتتلون من خلاف !

« ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا ، فنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد »

ولكن هذا الاختلاف لم يقع مخالفا للمشيئة الإلهية ؛ بل وقع وفق سنته المقررة ، ومشيئته المقدرة

إن اختلاف الطبائع والمشاعر والأفكار سنة من سنن الخالق لتنويع الخلق — مع وحدة الأصل والمنشأ — وما كان الله ليجعل عباده جميعا نسخا مكررة ، كأنما طبعت على ورق « الكربون » !

لا بد إذن لتكون للحياة قيمتها ، وليكون الاختلاف والتقابل وسيلة للتكامل والتنوع ، أن يكون هنالك اختلاف فى الطباع والمشاعر والأفكار . ومتى وجد الاختلاف على هذا النحو فإنه يستتبع نتائجه ؛ وإحدى نتائجه الاقتتال ، الذى وقع بين أتباع الرسل .. فهو إذن وفق المشيئة ، بمعنى أنه جار على السنة

« ولو شاء الله ما اقتتلوا » لو شاء أن يجعل التماثل هو الناموس لا التنوع ، لما وقع الاختلاف ، ولما وقع الاقتتال

« ولكن الله يفعل ما يريد » .. ولقد أراد أن تجرى السنة بما جرت ؛ فوقع فى الكون ما يقتضيه جريان السنة فى طريقها المرسوم ، وفق المشيئة الكبرى ، لتحقيق حكمة خاصة تجرى بها هذه المشيئة

سيد قطب

الرواية

تعـــــود

و

الرسالة

تتجـــــدد

في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

مطبعة الرسالة